

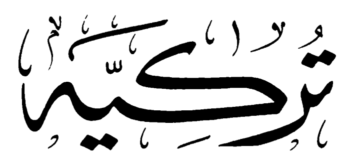




محمود شاكر

المكتب الاسلامي

مواطن الشعوب الاسلامية
في آسيا
١٢



محمود شاكر

المكتب الاسلامي

الطبعة السابعة

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

المكتب الإسلامي

بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقياً: إسلاميا

مقدمة الطبعة السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد ابن عبد الله، خاتم النبيين، وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وَبَعْد:

فإن من الضربات القاسية التي أصابت الأُمّة الإسلامية في الصميم وأضعفتها إنّما هي تجزئتها، وإعطاء كلّ جزء جنسيةً خاصةً بها، وهذا ما عمّق جذور التفرقة، ورسّخ فكرة التجزئة، وقوّى موضوع التباين مع الزمن إذ غدا لكل مصر أو إقليم شخصيته الخاصّة به، وانتماؤه الخاص، كما أصبح لكل شعب لغته. ونمت فكرة التعصّب القومي، فتقوقع كل جنس بالحدود التي وُضعت له، أو قام الأعداء برسمها. فأصبحت الأُمّة الواحدة أشتاتاً مُمزّقة، وربما ادّعت بعض هذه المِزق أنّها أمم.

إنّ الأنموذج الواضح لما ذكرناه هو الدولة التركية. لقد فتح المسلمون الجزء الشرقي من شبه جزيرة الأناضول في عهدهم الأول أيام الفتوحات الكبرى. وأصبح معظم الجزء الغربي مسلماً في مطلع القرن الثامن الهجري حتى لفّه الإسلام جميعاً مع ما حوله في منتصف القرن التاسع يوم فتحت القسطنطينية وأصبحت دار الإسلام

(استانبول)، ثمّ لم تلبث أن غدت حاضرة الخلافة الإسلامية، واستمّر ذلك عدّة قرون، كانت خلالها تجمع تحت أجنحتها معظم أمصار المسلمين، وتحتضن أكثرهم، وتحنو على من انتثر منهم، وترفق على من نأى. فكانت تتلقى لذلك ضربات الأعداء، وينصبّ عليها حقدهم، وغضبهم، ودعاياتهم المسمومة التي وجدت آذاناً صاغيةً عند من فُتن بالمادة، وأغرته دعايات أوربا، وشغلته مصالحه، وألهاه هواه فردّد ما سمع، ولا تزال أصداء بعض تلك الدعايات قائمةً.

كان الفرد المسلم في ظلّ الخلافة منذ وجدت الخلافة يتنقل في أرجائها الواسعة لا يصدّه صادّ، ولا يقف في وجهه حاجز جنسيته عقيدته التي يحملها بين جوانحه لا يخون أمّته ولا تتنكّر له، وفي الوقت نفسه لا يستطيع أن يدّعي هذه العقيدة أو هذه الجنسية غير أبنائها، لأنهم متماسكون جميعاً وبعضهم نصحة لبعضٍ، حتى إذا ضعف أمر العقيدة هان شأن الجنسية فادّعاها من ليس منها، وعوضاً من أن نُقوّي العقيدة في النفوس لتعود لنا هويتنا وترجع لنا شخصيتنا أقمنا جنسياتٍ متعددةً بتوجيه الأعداء الذين أوجدوا لنا هذا، ورسموا لنا الحدود، وخططوا لنا الأمصار، ثم أشعلوا النار بينها، فعلى حدود كلّ إقليمٍ حرّاس يحولون دون اجتيازها، لا يحولون دون أعدائها ــ مع الأسف ــ ولكن يمنعون من يُقيم على بُعد عدّة أمتارٍ منها، والنيران تضطرم، والجنود تستعدّ من كلا الطرفين لاقتحام الدّار على أهلها.

لقد أصبحت الأُمّة مِزقاً، وغدا سكان كلّ إقليمٍ يفخرون بجنسيتهم التي أعطيت لهم فتبنّوها. وليس بينهم سوى خط رسمه

الخصوم، وفي غالب الأحيان يعيش على جانبي ذلك الخط أفراد يمتّون إلى أسرةٍ واحدة، هذا الفخر أو العصبية هو الذي رسّخ جذور الخلاف وعمّق الشقّة بين طرفين.

لقد أرادوا قطع تركيا عن عقيدتها، وفصل جذورها عنها، فوضعوا لها عصبيةً تفخر بها فلما فعلت، قام أصحاب العصبية فيها فغيّروا كتابتها التي اعتاد أبناؤها عليها، وأنشأوا جيلها الجديد على عاداتٍ غريبةٍ عنهم لم يألفها آباؤهم، وعلى أفكارٍ تأباها عقيدتهم... وساروا بها شوطاً بعيداً حتى أحسّ بعض الناس بما أصابهم، وشعروا بسبب جراحهم التي تنزف فقراً وجهلاً، فنادوا بتضميد جراحهم بالرجوع إلى العقيدة، فهم يُجاهدون...

نرجو لهم التوفيق والنجاح وسداد الخطا...

والله ولي المؤمنين.

غرة شعبان ١٤٠٨ هـ

محمود شاكر



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه وَبَعْـد:

فإن دراسة تركيا لها أهمية خاصة إذ هي أكثر مناطق آسيا امتداداً نحو أوروبا حيث تمتلك مفاتيح البحر الأسود إلى المياه الحرة في الجنوب وتجعل بعض بلاد أوروبا الشرقية حبيسة في مناطقها أو تابعة لإرادة سكان شبه جزيرة الأناضول، وإضافة إلى هذا فعلى أرضها جرت منذ القديم حروب ومعارك بين الشرق والغرب: بين الاغريق والفرس ثم بين الفرس والرومان، وعلى بطاحها نشأت أفكار المذهب الأرثوذكسي، وفي ساحاتها حصل التطاحن الديني بين الفرق النصرانية المتعددة، ومن عاصمتها التي انفصلت عن روما حكمت مناطق واسعة شملت بلاد الشام ومصر وبلاد المغرب وأرجاء شاسعة أخرى: ثم على ربوعها حدث الاحتكاك بين الجيوش الإسلامية المنطلقة من الجنوب وبين القوى التي كانت تسيطر على تلك الربوع من الروم، واستمر هذا الاحتكاك عدة قرون، ويشكل هذا جزءاً مهماً من التاريخ الإسلامي، ثم كانت بقاعها مهداً لقيام دولة بني عثمان التي استمرت أكثر من ستة قرون وكانت لها مهمة خطيرة في تاريخ الإسلام إذ تسلمت أمر الخلافة التي هي عنوان الحكم الإسلامي،

وكان أعظم ملوك أوربا يتقدم صاغراً يطلب ودَّ الخليفة، وفي هذه المدة على تطاولها كانت مدار السياسة الأوربية بل سياسة العالم يرتبط بها إذ مرت بين تجمُّع ضدّ هذه الدولة في بداية الأمر، ثم حرب سجال معها، ثم اختلاف على اقتطاع أجزاء منها عندما ضعفت في نهاية المطاف. وفي آخر الشوط انتقلت إلى أرضها وإلى أقرب الولايات إليها أيضاً أفكار العصبية القومية في هذه المنطقة وذلك لفكّ أواصر الرابطة الدينية التي كانت تجمع عدة شعوب، ولحل الوشائج العقيدية التي كانت ملتقى المسلمين، والتي كانت تخيف العالم الآخر الذي كان في حالة تقدّم فخشي من صحوة هذه الأمة بعد غفوتها ونهوضها بعد كبوتها وتعثرها، فأراد ضربها قبل قيامها لأن في انتعاش الفكرة الإسلامية بقاء لقاء تركيا مع الأمصار الإسلامية بل وزيادة ارتباطهم وتشكيل قوة كبيرة ذات شأن سواء بالنسبة إلى المعسكر الشرقي الذي يبتلع جزءاً من أرض الإسلام والتي يسكن معظمها شعوب تمتُّ إلى الأصل التركي بصلة فيمكن أن تتآزر معهم، وتنقذهم مما هم فيه، أم بالنسبة إلى المعسكر الغربي الذي يجد مسرحه هنا في تركيا وفي المناطق المتاخمة لها من الجنوب والشرق، كما أنه في الوقت نفسه لا يتنفس إلا بالنفط الذي يكثر وجوده في تلك الأمصار، وعلى هذه الأمصار يعوِّل كثيراً في اقتصاده. ولا شك فإن عودة الأفكار الإسلامية إلى المنطقة سيعيد لسكانها مركز الثقل في العالم ويجعلهم يقفون في وجه أصحاب المطمع والشهوات الذين يتحكمون بالأمم اليوم موقفاً قوياً وهذا ما يجعل هؤلاء الخصوم يخططون ويبذلون قصارى جهدهم لوأد هذه الأفكار وقتل دعاتها تارة بأيدي أعدائهم وأخرى

بأيدي أبناء هذه الأمة الذين يسايرون الأعداء تبعاً لأهوائهم ومصالحهم. وعلى هذا فدراسة تركيا كانت ولا تزال تهمّ الساسة والمؤرخين، كما تهمّ أصحاب الديانات والعقائد على السواء.

هذا وتشكل تركيا جزءاً من العالم الإسلامي الذي يشكل بدوره وحدةً اقتصاديةً متكاملةً فلا يمكن فصلها عنه وإغفالها، وإذا ما أريد لها هذا الفصل فإنما يُقصد لها الموت حيث لا تستطيع الحياة في بيئة تختلف عن بيئتها تماماً. هذا ويحاول الأعداء أن ينأوا بتركيا خارج محيطها وأن يلصقوها بالغرب وقد مكّنهم من ذلك حكامها الذين سيطروا عليها إثر الحرب العالمية الأولى أو قبلها بقليل والأعداء في الأصل هم الذين عهدوا إليهم بالحكم أو مكّنوهم من الوصول إليه خلال سلسلة من المؤامرات بيّتوها لهذه الأمة. وبعد حكم وفصلٍ عن موقعها استمر ما يقرب من نصف قرن خيِّل للمراقبين أن الأمر تمّ حسبما يريد الأعداء وأن كل شيء قد انتهى، ثم تبين لهم أن الشعب كان يعيش في وادٍ والحكم في وادٍ آخر تظهر راياته فوق رؤوس أخضعها السيف فسار بها مغرباً ولكنه لم يملك فؤادها وهواها فقد ظل فؤادها كله ــ وهواها كله كذلك ــ ثابتاً مرتبطاً بمكانها الذي جُرّت منه ملتصقاً بالعقيدة التي دانت بها وبالمحيط الذي عاشت في إطاره. وما أجمل تلك القوافل من الحجيج التي تخلع نعالها في كل موسم عندما تدخل أرض الشام ــ شام شريف ــ احتراماً لها ولترابها الذي امتزج بدم الصحابة الفاتحين والمجاهدين في سبيل الله على مرّ الزمان، وتقديراً للغة القرآن التي ينطق بها أهل هذا المصر وإجلالاً للسكان الذين يظن بهم الحجاج الأتراك كلّ خير، وكأنهم بهذا العمل يعلنون

عن وضعهم الحقيقي، ويُبدون ما تنطوي عليهم قلوبهم ويقولون لحكامهم هذه النعال نرفعها عن أرض الشام لنضعها فوق رؤوس من يعتدي عليها ولو كان من جنسنا، فالجنس تحتها والعقيدة فوق كل شيء.

وسعى من سعى من الأعداء لإيقاع الخلاف بين الأتراك وأشقائهم في الجنوب، وكان الحكام أداةً طيعةً لافتعال هذه الفرقة وزيادة الشقاق فتوتّر الوضع على الحدود، واستنفر الجنود، وكانت الحدود من كلا الجانبين مهيأةً، وكادت أمنية العدو المشترك تتحقق ومؤامرته في الايقاع بين الأشقاء تتم، فكاد القتل عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) أن يقع وإذ بعددٍ من ضباط الترك يتفقون على أن يكونوا بجانب جند الشام التي لم تكُن لتختلف عن دولتهم إلا أنهم يحسنون الظن بها لعقيدتهم...

وأبلغوا الأمر على لسان أحدهم إلى قائد قوات الشام.

انتقل هذا الضابط بخفية ومهارة إلى الجنوب بعد أن خلع لباس القيادة وألقاه على الأرض محتقراً لباس عظمة يُذلّ فكرة ويضيع عقيدة، ألقاه ودموعه تنهمر، ويرجع بذاكرته إلى الوراء يتصوّر نفسه يقاتل في أرض روّاها الصحابة بدمائهم ليرفعوا اسم الله عليها، ويدخلها هو ليعلي اسم جنسه ويحلّه محلّ كلمة الله...

استطاع هذا الضابط الوصول إلى قائد قوات الشام والله ــ وحده ــ يعلم ما واجه من خطر، وكم لقي في الطريق من مشقةٍ

وعناء. دخل عليه، وخاطبه قائلاً: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... ثم بربر بكلمات لم يفهمها القائد إلا بعد ترجمتها، وهذا معناها «إن رتبتي التي منحنيها حكام بلدي أعلى من رتبتكم، ولكن جئتكم بهذا اللباس للتعمية ــ كما تعلمون ــ وتواضعاً لكم، واعترافاً مني بفضلكم، ولا شك فإن الرتبة التي أريدها هي التي يمنحني إياها ربي وهي رتبة مجاهد أو شهيد، وهي أحب إليّ من مُنح أهل الأرض جميعاً، وكم كنت أتمنى أن أكلمكم بلغتكم ــ لغة القرآن ــ التي أبعدنا عنها حكامنا لمصالحهم، وكانت أمنيتي في تعلّمها ولكن لم أجد السبيل. والآن نحن معكم، واتفقنا نحن الضباط على ذلك، وأنقل هذا لك باسمهم فانظر ماذا ترى؟ أننتقل إليكم أم ندير لكم ظهورنا ونتجه نحو عدوكم من قومنا أم ننتظر؟» ثم سكت ينتظر الجواب...

أجاب القائد المسؤول: «أنتم الأتراك استعمرتم بلادنا عدة قرون وأذللتمونا ونحن سنكافئكم بالمثل...».

خرج الضابط بعد أن قال: «سبحان الله...» إنها صورة لما لحق منطقتنا من آراء وأفكار جاهلية فلن يجدي الكلام... ولكن لن نتراجع عن رأينا فنحن نقاتل في سبيل الله، ونحن مع الشعبين الشقيقين المسلمين، وإن دارت المعركة فنحن معكم ــ إن شاء الله ــ مهما كانت النتائج.. لا يهمنا من خالفنا...

ولكن الله سلّم، ولم يحدث القتال بين الأشقاء... وهدأت مؤامرة الأعداء موقتاً ــ ونرجو أن نحبطها دائماً ــ.

هذا مثل من نظرة المسلمين الأتراك إلينا نحن العرب. فالشعب التركي يريد التقرب إلينا فلنتقرب منه، ولنمد بأيدينا إليه ليضغط على... من يقف مانعاً في وجه العودة إلى العقيدة كما أن هذا أيضاً مثلاً من نظرة المسلمين كافةً إلى العرب، فلنتعرف على أوضاع المسلمين في أي مصرٍ كانوا.

ولعلّ في هذه الدراسة لتركيا ما يجعلنا نقف على مقربة من الشعب التركي المسلم لنتعارف ونتعاون على الخير المشترك ولنصدّ الخطر الداهم المحيط بنا وبهم على السواء...

والله ولي التوفيق، وهو نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

١ جمادى الأولى ١٣٩٤ هـ

الموافق ٢٣ أيار ١٩٧٤ م

محمود شاكر

مع التاريخ

قامت الحضارة على الأرض التركية في وقتٍ مبكرٍ وإن كان تاريخ الأناضول لم يبدأ إلا بقيام دولة الحثيين التي ازدهرت بين ١٦٠٠-١٢٠٠ ق. م. وكان أحد مصادر قوة الحثيين هو الحديد الذي أول ما صنع في الأناضول، ونتيجة وجود القوات المصرية على حدود أراضيهم في الجنوب فقد نقلوا عاصمتهم من أواسط الأناضول بالقرب من (أنقرة) إلى (كركميش) في الجنوب على نهر الفرات على مقربة من مدينة (جرابلس) السورية اليوم وعلى الحدود الفاصلة بين الدولتين. وجرى صراع بين الحثيين والمصريين على أرض الشام استمرّ حقبةً من الزمن ليست بالقصيرة، ثم بدأت علائم الضعف والانحلال تظهر على الامبراطورية الحثية فانقسمت الأناضول إلى عدة أسر ودويلات لا يعرف عنها الشيء الكثير، وإن كان الذي يلفت الانتباه في هذه المرحلة من التاريخ أن اليونانيين بدأوا يغزون شواطىء بحر إيجة فاشتبكوا مع الدويلات المحلية في قتالٍ عنيف، ثم غزا الإيرانيون البلاد عام ٥٤٦ ق. م، تلا ذلك غزو الاسكندر الكبير المكدوني لها عام ٣٣٤ ق. م، ثم جاء الرومان عام ١٩٠ ق. م وأصبحت الأناضول منذ ذلك الوقت تتبع روما، وامتازت هذه المدة من تاريخ البلاد بالحروب الدائمة بين الرومان من جهة والفرس من جهة ثانية. وفي عام ٣٣٠ م وجد الامبراطور قسطنطين آثار مستعمرة تجارية رومانية قديمة في المكان الذي تلتقي فيه القارتان فأعاد بنيانها من

جديد واتخذها عاصمة الرومانيين الشرقية، ثم أصبحت قاعدة البيزنطيين وعرفت باسم القسطنطينية وورث البيزنطيون الرومانيين في صراعهم مع الفرس فكانت الحروب الدائرة في هذه المنطقة بين مدٍّ وجزرٍ ينتصر البيزنطيون تارة ويتقدمون نحو الشرق ثم لا يلبث الفرس أن تعود إليهم القوة ويدحرون البيزنطيين نحو الغرب.

وليست هذه الحروب الدائرة بين الفرس من جهة وبين الاغريق والرومان والبيزنطيين من جهة أخرى حروباً قائمة بين الشرق والغرب كما يحلو لبعضهم أن يصفها بل قد يؤكد على ذلك آخرون إذ يريد هؤلاء أن يزجوا اسم الإسلام في هذا الخلاف القائم بين الشرق والغرب فيدّعون ان الحروب الميدية التي هاجم فيها الفرس بلاد اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد ما هي إلا بداية هذه الحروب، تلتها حروب الانتقام التي قادها الاسكندر الكبير المقدوني في القرن الرابع قبل الميلاد وقامت بعدها سلسلة من الحروب بين الفرس والرومان وبين البيزنطيين والفرس ينتصر فيها طرف ثم يستعد الآخر للقيام بحرب انتقامية كان آخرها انتصار الفرس على الروم ثم تقدم الروم الذي تحدث عنه القرآن الكريم في سورة الروم.

وكردّ فعلٍ على هذا النصر الرومي قام المسلمون بمحاولة غزو أوربا وتطويقها من الشرق عن طريق القسطنطينية ومن الغرب عن طريق الأندلس وجنوبي فرنسا وذلك في أيام الوليد بن عبد الملك، ولكن هذا الفتح قد توقف في معركة بلاط الشهداء واستشهاد عبد الرحمن الغافقي على مقربة من باريس، وتراجع مسلمة بن عبد الملك عن

القسطنطينية وفكّ الحصار عنها. ثم قامت أوربا بردّ فعلٍ قوي بالحروب الصليبية الأولى ولكنها لم تحرز النجاح الدائم إذ اضطر الصليبيون للجلاء عن الأراضي التي سيطروا عليها بعد مدة من الزمن وإن طالت قليلاً، ثم قام العثمانيون المسلمون بالهجوم على أوربا حتى طرقت جحافلهم أبواب (فيينا) عاصمة النمسا وضربوا عليها الحصار عدة مرات، ثم قامت أوربا لتقف في وجه الغزو العثماني ثم لتقوم بعملية هجوم واسع تمثّل بالاستعمار الأوربي الحديث أو الحروب الصليبية الجديدة بعد ضعف الدولة العثمانية وسيطرة دعاة العصبية القومية التركية على مقاليد الأمور والتنافس القومي بين أجزاء الدولة الواحدة. وعلى هذا يعدّ هؤلاء المؤرخون الإسلام شرقياً ليقف الغربيون ضدّه، وليضمنوا عدم انتشاره بينهم، وتارة يعدّونه ديناً سامياً ليحاربه الآريون... وهكذا. وهم بذلك يجرّدون الفتوحات الإسلامية من كل أثرٍ عقيدي عندما يضعونها ضمن النزاع القائم بين منطقة وأخرى أو بين أمةٍ وثانيةٍ، والمعروف أن الإسلام دين للناس كافةً دون تمييز بين العروق والأجناس أو بين الأمم والشعوب، وهو تمرّد على الظلم وثورة على الطغيان أينما كان ومن أي صدر، بل إن الإسلام يحارب فكرة الحرب بين الأمم أو النزاع بين الشرق والغرب أو القتال بين الأجناس أو الصراع بين العروق. وفضلاً عن ذلك فإن المسلمين قد فرحوا بنصر الروم النصارى على الفرس المجوس فكيف يقومون برد فعل ضدهم﴿ آلم، غُلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غَلبِهم سَيَغلِبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾.

وانتشرت النصرانية في هذه الآونة بين أفراد من الشعب الروماني، ثم اعتنقها الامبراطور ففرضها على شعبه كافة واعتبرها ديانة الدولة الرسمية فأخذها الشعب اسماً وقبلها كرهاً ولم يطبق تعاليمها التي لم يعرفها بعد، وبقيت السلوك والتصرفات والحياة الاجتماعية كاملةً تمارس كما كانت تمارس من قبل يوم كانت الوثنية هي السائدة بل إن كثيراً من العقائد والخرافات والأساطير بقيت متحكّمةً في المجتمعات وراسخةً في النفوس، وهكذا أصبحت النصرانية مزيجاً من العقائد الوثنية والخرافات تحمل اسم المسيحية.

ونشأت عدة اختلافات في وجهات النظر حول طبيعة المسيح أدّت في النهاية إلى وجود عدد من الفرق والكنائس المستقلة، وأخيراً استقلت الكنيسة الشرقية وكان مركزها (القسطنطينية) عن الكنيسة الغربية التي بقي مركزها في (روما). واستمر الوضع هكذا في بلاد الأناضول خلاف بين الفرق، وصراع حول طبيعة المسيح، ووثنية تتحكم في النفوس، وخرافات وأساطير تسيطر على المجتمعات وعبادات للأشخاص قائمة، ومصالح تُحلّ للشعب بعض ما حُرّم عليه وتُحرّم بعض الذي أُحلّ له، حتى جاء الإسلام يحرر تلك الشعوب مما يرين على قلوبها.

سطع نور الإسلام في الجزيرة العربية، وقام رسول الهدى يرسل رسله إلى ملوك العالم يدعوهم إلى الإسلام ولولا تعنت بطارقة الروم لدانت تلك المنطقة بالإسلام منذ أول عهده.

قال البخاري[(١)]: حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع[(٢)] اخبرنا شعيب[(٣)] عن الزهري[(٤)] اخبرني عبيد الله بن عبد الله عتبة بن مسعود[(٥)] أنّ عبد الله بن عباس[(٦)] أخبره أن أبا سفيان[(٧)] أخبره

---

(١) البخاري: محمد بن اسماعيل بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله: حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد في بخارى عام ١٩٤ هـ، ونشأ يتيماً، وقام برحلة طويلة عام ٢١٠ هـ في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق والشام. وهو أول من وضع في الإسلام كتاباً في صحيح الحديث ومات في إحدى قرى سمرقند عام ٢٥٦ هـ.

(٢) الحكم بن نافع البهراني، أبو اليمان الحمصي، مشهور بكنيته، ثقة ثبت، يقال أن أكثر حديثه عن شعيب مناولةً. أخرج له جميع أصحاب الكتب الستة، ينسب إلى بهراء قبيلة نزل أكثرها مدينة حمص من الشام مات عام ٢٢٣ هـ.

(٣) شعيب: شعيب بن أبي حمزة دينار الحمصي: الأموي بالولاء: حافظ للحديث، ثقة من أهل حمص كان جيد الحفظ، ولي الكتابة لهشام بن عبد الملك بالرصافة، وكتب له كثيراً من الحديث باملاء الزهري توفي عام ١٦٢ هـ.

(٤) الزهري: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب، من قريش أبو بكر، أول من دوّن الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء، تابعي، من أهل المدينة، نزل بالشام واستقر بها وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: عليكم بابن شهاب فانكم لا تجدون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه، ولد عام ٥٨ هـ وتوفي عام ١٢٤ هـ.

(٥) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبد الله: مفتي المدينة، وأحد الفقهاء السبعة فيها. من أعلام التابعين، له شعر جيد، وهو مؤدب عمر بن عبد العزيز، كان ثقة وعالماً فقيهاً كثير الحديث والعلم بالشعر وقد ذهب بصره مات بالمدينة عام ٩٨ هـ.

(٦) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، حبر الأمة، الصحابي الجليل، ولد بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الأحاديث الصحيحة وشهد=

أن هرقل[١] أرسل إليه في ركب[٢] من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة[٣] التي كان رسول الله ﷺ مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهو بايلياء[٤] فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم

=مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره فسكن الطائف وتوفي بها عام ٦٨ هـ وعمره ٧١ عاماً.

(٧) أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: صحابي، من سادات قريش في الجاهلية كان من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره، أسلم يوم الفتح، شهد حنيناً والطائف ففقئت عينه يوم الطائف والثانية يوم اليرموك، فعمي، وكان من الشجعان الأبطال، توفي بالمدينة وقيل بالشام عام ٣١ هـ وعمره ٨٨ عاماً.

(١) هرقل هو ملك الروم، ولقبه قيصر، وهرقل بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف.

(٢) ركب جمع راكب كصَحْب وصاحب، وهم أولو الابل العشرة فما فوقها. والمعنى أرسل إلى أبي سفيان حال كونه في جملة الركب، وذاك لأنه كان كبيرهم فلهذا خصه، وكان عدد الركب ثلاثين رجلاً.

(٣) المدة: يعني مدة الصلح بالحديبية، وكانت في سنة ست للهجرة، وكانت مدتها عشر سنين.

(٤) ايلياء: بيت المقدس، ومعناها بيت الله.

وقد كان الفرس قد انتصروا على الروم وأجلوهم عن بعض مواقعهم، وقد فرح مشركو العرب بهذا الانتصار لأن الفرس مجوس أقرب إلى المشركين في العقيدة، وفاخروا بذلك المسلمين، فأنزل الله تعالى: ﴿ آلم. غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون. بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وعد الله لا يُخلِفُ الله وعده ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (الروم ١-٦). وهذا ما جاء من القرآن في أخبار المستقبل تصريحاً. فرح المؤمنون بانتصار الروم النصارى، ولم يكن المشركون يتوقعون هذا النصر. =

دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: قلت: أنا فيهم أقربهم نسباً. فقال: ادنوه مني، وقرِّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا الرجل، فان كذبني فكذبوه. فوالله لولا الحياء من أن يؤثروا علي كذباً لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا

= ونتيجة انتصار الروم، سار هرقل من حمص إلى إيلياء مشياً شكراً لله تعالى على ذلك.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى أمير بُصرى فلما بلغ مؤتة، وهي قرية من عمل البلقاء بالشام: تعرض له شرحبيل ابن عمرو الغساني فقال له: أين تريد؟ قال: الشام، قال: لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم، فأمر به فضربت عنقه، ولم يقتل لرسول الله عليه الصلاة والسلام رسول غيره وقد وجد لذلك وجداً شديداً.

ووجه عليه الصلاة والسلام شجاع بن وهب إلى أمير دمشق من قبل هرقل الحارث بن أبي شمر، وكان يقيم بغوطتها (لعل موقع مركزه في حرستا شمال شرقي دمشق على بعد ٩ كم، وهو المكان الذي يعرف باسم جِلَق)، وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق. وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى ملكك. فلما قرأ الكتاب رمى به، وقال: من ينزع ملكي مني؟ واستعد ليرسل جيشاً لحرب المسلمين وقال لشجاع: أخبر صاحبك بما ترى. ثم أرسل إلى قيصر يستأذنه في ذلك وصادف أن كان عنده دحية، فكتب قيصر إليه يثنيه عن هذا العزم، ويأمره أن يهيء بايلياء ما يلزم لزيارته، فإنه بعد أن قهر الفرس نظر زيارتها. فلما رأى الحارث كتاب قيصر صرف شجاع بن وهب بالحسنى ووصله بنفقة وكسوة.

(نور اليقين ـــ محمد الخضري ص ١٩٦-١٩٧)

وفي رواية أن الحارث قد أرسل كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل مع عدي بن حاتم.

القول منكم أحد قبله قط؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال ولم تمكّني كلمة أُدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم. ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه فذكر أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تُبعث في نسبٍ من قومها وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا: فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتي بقول قيل قبله. وسألتك هل كان من آبائه من ملك، فذكرت أن لا قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه، وهم اتباع الرسل. وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حتى تخالط

بشاشته القلوب. وسألتك هل يغدر، فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك بما يأمركم ، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ما تقوله حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه.

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية[(١)] إلى عظيم بصرى ، فدفعه إلى هرقل ، فقرأه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين[(٢)] ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنّا

---

(١) دحية بن خليفة بن فروة بن فُضالة الكلبي : صحابي ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالة قيصر يدعوه للاسلام . حضر كثيراً من الوقائع ، وكان يُضرب به المثل في حسن الصورة . وشهد اليرموك فكان على كردوس . ثم دمشق وسكن المزة وعاش إلى خلافة معاوية وتوفي حوالي عام ٤٥ هـ.

(٢) الأريسين : يقصد الفلاحين أي الرعية . فعنى ذلك تتحمل إثمك وإثم رعيتك الذين تحول بينهم وبين الإسلام .

مسلمون ﴾.

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات وأُخرجنا. فقلت لأصحابي حين أُخرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة[١]، إنه يخافه ملك بني الأصفر. فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام.

وكان ابن الناطور ــ صاحب إيلياء ــ وهرقل، سُقفاً على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك. قال ابن الناطور: وكان هرقل حزّاء[٢] ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود. فبينما هم على أمرهم أتي هرقل برجلٍ أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ. فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه، فحدثوه أنه مختتن. فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر. ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم. وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي. فأذن هرقل لعظماء

---

(١) ابن أبي كبشة: يقصد به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو اسم اطلقه الكفار عليه، إذ هو في الأصل لقب زوج حليمة السعدية مرضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) حزا حزا يحزو حزواً: تكهن.

الروم في دسكرة[1] له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلّقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلّقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس[2] من الإيمان قال: ردوهم عليّ. وقال: إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت. فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل. (رواه صالح بن كيسان[3] ويونس[4] ومعمر[5] عن الزهري)[6].

وهكذا فقد شحّ هرقل بملكه، وضنّ القساوسة بمركزهم وخافوا عليه بعدما عرفوا ما جاءهم من الحق فكفروا به فلعنة الله على الكافرين، وبخل الامراء بمناصبهم فبقوا على كفرهم حسداً وكبراً ورفضوا الإيمان فجاءتهم جيوش الإسلام تدك معاقلهم فخسروا الدنيا والآخرة.

تحركت الجيوش الإسلامية تدك معاقل الوثنية والشرك، وتهدم حصون الظلم، وتحطم عروش الطواغيت والجبابرة وتزيل صرح

---

(١) دسكرة: القصر الذي حوله بيوت قليلة، القصر للأمير والبيوت للحاشية، وهي بالعرف المزرعة.

(٢) أيس: قنط.

(٣) صالح بن كيسان المدني: مؤدب أبناء عمر بن عبد العزيز. كان من فقهاء المدينة الجامعين بين الفقه والحديث، وهو أحد الثقات في رواية الحديث توفي عام ١٤٠ هـ.

(٤) يونس بن يزيد بن أبي النجاد الأموي بالولاء، أبو يزيد: توفي عام ١٥٩ هـ.

(٥) معمر بن راشد بن أبي عمر الأزدي بالولاء أبو عروة، فقيه، حافظ للحديث، متقن، ثقة. من أهل البصرة. وما اشتهر فيها، سكن اليمن، توفي عام ١٥٣ هـ.

(٦) فتح الباري جـ ١ ص ٣١-٣٣. البداية والنهاية جـ ٤ ص ٢٦٣-٢٦٥.

الكفر، وتذيل دولة كل من يقف في وجه الحق. واتجه بعض هذه الجيوش نحو البلاد التي تقع تحت سيطرة الروم واستطاعت أن تزيلهم عن مواقعهم في بلاد الشام بقيادة أبي عبيدة[١] بن الجراح وعن مصر بقيادة عمرو[٢] بن العاص وعن سواحل إفريقية الشمالية، ولم تدر الحروب بين الطرفين في البر فقط بل تعدتها إلى البحر رغم حداثة المسلمين في ركوبهم له، وتمّ للمسلمين فتح قبرص[٣] عام ٢٨ هـ، ورودس[٤] عام ٣٣ هـ، وكريت[٥] عام ٥٥ هـ. كما أنه بعد أن تمّ فتح بلاد الشام تحركت كتائب الإسلام نحو الشمال في البر فاستولت على القسم الشرقي من دولة الروم، وغدت جبال طوروس حداً فاصلاً بين الجانبين.

---

(١) أبو عبيدة: عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي ولد عام ٤٠ ق. هـ. أي أصغر من رسول الله بثلاث عشرة سنة، صحابي جليل وقائد عظيم، أحد العشرة المبشرين بالجنة، فتح بلاد الشام، وتوفي بطاعون عمواس عام ١٨ هـ، وانقطع عقبه.

(٢) عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أبو عبد الله: ولد عام ٥٠ ق. هـ أي كان أصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنوات، أحد دهاة العرب، ومن القادة الفاتحين، ولاه معاوية مصر عام ٣٨ هـ. وتوفي بالقاهرة عام ٤٣ هـ.

(٣) قبرص: جزيرة في شرقي البحر الأبيض المتوسط، وثالث جزره مساحة بعد صقلية وسردينيا، تبلغ مساحتها ٩٢٥١ كم٢، تبعد عن الساحل السوري مسافة ٩٠ كم، وعن ساحل تركيا الجنوبي ٦٥ كم، ثلث سكانها من المسلمين ويمتون إلى أصل تركي.

(٤) رودس: جزيرة في شرقي البحر الأبيض المتوسط أيضاً، تتبع اليونان رغم قربها من الشاطىء التركي إذ لا تبعد عنه أكثر من ٢٠ كم.

(٥) كريت: جزيرة متوسطية أيضاً، تتبع اليونان وقد ضمت إليها عام ١٣١٦ هـ واختفى إثر ذلك ٨٩ ألف مسلم كان يقيم على أرضها، أصغر من قبرص مساحة.

وفي الوقت نفسه أغار عياض[١] بن غنم على بلاد ما وراء القوقاز[٢] عام ١٩ هـ ثم فتحها حبيب[٣] بن مسلمة عام ٢٣-٣١ هـ وقد كانت هذه المناطق من قبل مسرحاً للصراع بين الروم والفرس. كما أن المسلمين قد غزوا القسطنطينية في وقتٍ مبكرٍ منذ عام ٥٠ هـ أيام معاوية[٤] بن أبي سفيان رضي الله عنه وإن فشلوا إلا أن غزوها قد تكرّر مراتٍ عديدةٍ وبقي الوضع على هذه الجبهة على هذا الشكل مدة طويلة من الزمن، أضيف إليه فقط القسم الشرقي من الأناضول ابتداء من نهر الفرات.

وقد وطّن العباسيون أقساماً من جيش خراسان[٥] في المناطق

---

(١) عياض بن غنم بن زهير الفهري: من شجعان الصحابة، أسلم قبل الحديبية، فتح بلاد الجزيرة أيام عمر، وتوفي عام ٢٠ هـ.

(٢) القوقاز: جبال شاهقة تصل بين البحرين الأسود والخزر، وما يلي الجبال من الجنوب من اذربيجان وبلاد الكرج والأرمن يعرف باسم ما وراء القوقاز، وتمتد في شرقها بلاد الداغستان وفي غربها وشمالها بلاد الأديغة (الجراكسة).

(٣) حبيب بن مسلمة بن مالك الفهري القرشي، ولد قبل الهجرة بعامين: شهد اليرموك، وتولّى أمر أنطاكية، وفتح أرمينية وأذربيجان، توفي بأرمينية عام ٤٢ هـ.

(٤) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي، الأموي: مؤسس الدولة الأموية في الشام، أحد دهاة العرب، ولد بمكة وأسلم يوم فتحها، كان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، تولى القيادة تحت إمرة أخيه يزيد وفتح صيدا وصور، ثم تولى أمر الأردن فدمشق بعد موت أخيه، اختلف مع سيدنا علي، وتمّ له أمر الخلافة بعده، وتوفي عام ٦٠ هـ.

(٥) خراسان: بلاد واسعة، يقع قسم منها اليوم في إيران، وآخر في بلاد الأفغان، وثالث في المنطقة التي يسيطر عليها الروس من بلاد التركمان.

الأناضولية الخاضعة لهم، وكان الخليفة المهدي[1] يستقدم الأتراك من فرغانة[2] وبلخ[3] ويسكنهم الثغور وبخاصة طرسوس[4] وأضنة[5] ...

ومرعش[6] وملاطية[7] وآمد[8] وملازكرت[9] وخلاط[10] وقاليقاد[11] والمصيصة[12] وعين زربة[13]. وكلها في المنطقة الجبلية الفاصلة بين المسلمين والروم.

---

(١) المهدي: محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ثالث خلفاء بني العباس تولى أمر الخلافة بعد وفاة أبيه المنصور عام ١٥٨ هـ، وتوفي عام ١٦٩ هـ.

(٢) فرغانة: مدينة وكورة واسعة في بلاد ما وراء النهر، ويجري فيها نهر سيحون الأعلى، وهي اليوم في منطقة قرغيزيا التي يسيطر عليها الروس.

(٣) بلخ: بفتح الأول وتسكين الثاني، مدينة مشهورة في خراسان، وتقع اليوم في بلاد الأفغان، وتعرف اليوم باسم وزير أباد، ولكن الاقليم يعرف باسمها.

(٤) طرسوس: بفتح الأول والثاني، مدينة في تركيا اليوم، جنوب غربي مدينة أضنة. وكانت من ثغور المسلمين.

(٥) أضنة: مدينة في تركيا، قريبة من ساحل البحر الأبيض المتوسط، ومركز الاقليم المعروف باسمها أو باسم كيليكيا.

(٦) مرعش: مدينة في تركيا اليوم تقع جنوبي تركيا وشمالي مدينة حلب والمسافة بين المدينتين ١٨٠ كم.

(٧) ملاطية: مدينة في تركيا شمال شرقي مرعش بينها ١٦٠ كم، محطة للقطار قريبة من نهر الفرات.

(٨) آمد: مدينة في تركيا تقع شمالي ديار بكر على مسافة ١٥ كم منها.

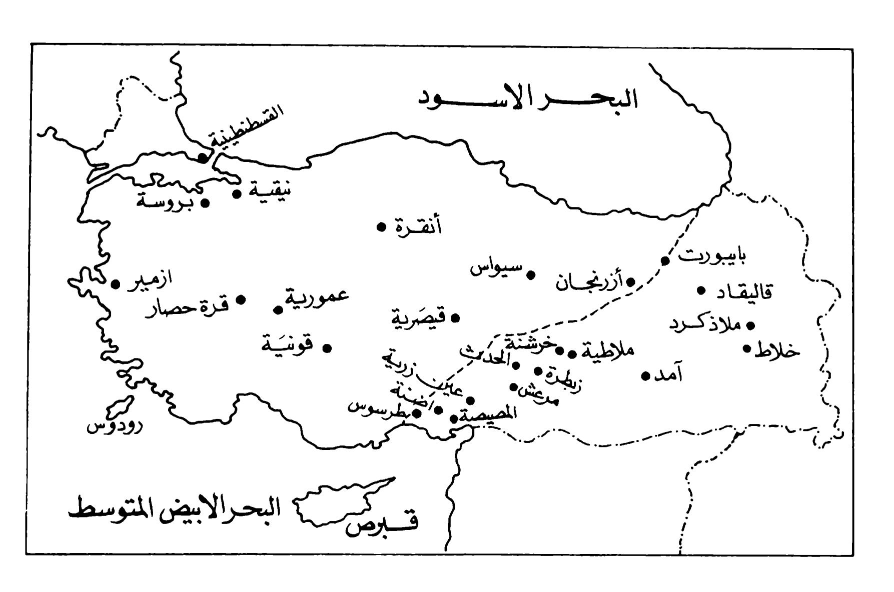
(٩) ملازكرت: موقع في شرقي تركيا شمالي بحيرة وان وعلى بعد ٤٠ كم منها.

(١٠) خلاط: موقع على بحيرة وان على شاطئها الغربي.

(١١) قاليقاد: موقع في تركيا جنوب مدينة أرضروم على بعد ١٨ كم منها.

(١٢) المصيصة: ثغر شرقي مدينة أضنة بـ ٣٠ كم.

(١٣) عين زربة: ثغر شمال شرقي أضنة بـ ١٣٥ كم.



البحر الاسود
القسطنطينية
نيقية
بروسة
أنقرة
بايبورت
سيواس
أزرنجان
قاليقاد
ازمير
عمورية
قرة حصار
قيصرية
ملاذكرد
قونية
خرشنة
ملاطية
خلاط
الحدث
زبطرة
آمد
عين زربة
مرعش
اضنة
طرسوس
المصيصة
رودوس
البحر الابيض المتوسط
قبرص

ثم زاد عدد الترك في هذه المناطق في عهد المأمون (١) والمعتصم (٢) بل إن المعتصم استطاع أن يقوم بحملةٍ واسعةٍ استهدفت فتح عمورية (٣) في الغرب رداً على بعض غارات الروم، وقد خلد هذا الانتصار أبو تمام (٤) بقصيدته التي مطلعها:

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

---

(١) المأمون: عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي، أبو العباس: سابع خلفاء بني العباس، أحد أعاظم الملوك في سيرته وعلمه وسعة ملكه، كان فصيحاً مفوهاً، واسع العلم محباً للعفو، قال في آخر حياته برأي المعتزلة في خلق القرآن، توفي عام ٢١٨ هـ، ودفن في طرسوس.

(٢) المعتصم: محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي، أبو اسحاق: ثامن خلفاء بني العباس، بويع بالخلافة بعد موت أخيه المأمون عام ٢١٨ هـ، وكان بطرسوس، باني مدينة سامراء توفي عام ٢٢٧ هـ.

(٣) عمورية: مدينة رومية تقع غربي المنطقة الجبلية في موقع متقدم باتجاه الغرب، يقال إن الروم قد دخلوا في إحدى غاراتهم ثغراً إسلامياً واعتدوا أثناء ذلك على امرأة مسلمة فصاحت وامعتصماه... وعندما وصل إليه خبر ذلك قرر أن يصل إلى مدينة عمورية، وأن يحرقها انتقاماً لما فعله الروم، إلا أن المنجمين نصحوه ألا يفعل إذ ظهر عندهم أن هذه المدينة لا تفتح إلا وقت نضج التين والعنب وأن الوقت يحتاج إلى عدة أشهر. ولكنه قرر أن يفعل وقد استطاع أن يصل إليها وأن يفتحها ويضرم النار فيها.

(٤) أبو تمام: حبيب بن أوس الطائي: أحد أمراء البيان ولد في بلدة جاسم إحدى قرى حوران في الشام ورحل إلى مصر، ثم استقدمه المعتصم، وقدمه على الشعراء، توفي عام ٢٣١ هـ.

وفي عهد المتوكل[1] أصبح الجيش التركي هو الجيش الأساسي في الدولة، وأصبحت هذه الثغور تحت إمرتهم واستمر الترك في غاراتهم من هذه الثغور، وكانوا يخضعون للخليفة العباسي أو للطولونيين[2] أو للحمدانيين[3] ذلك لأن الدولة العباسية قد ضعف شأنها فانفصلت عنها دويلات، منها ما خضعت الثغور لها، فكان عليها أمر قتال الروم ومنازلتهم من تلك الثغور، ولم يكن ذلك القتال بالشكل الذي عرفناه في صدر الإسلام وإنما كان على شكل غارات تقوم على بعض القلاع والحصون من كلا الطرفين وإذا كانت هذه الغارات قد أعطيت شكلاً آخر في عهد الدولة الحمدانية وبخاصة أيام سيف الدولة[4] وذلك بسبب الشعراء الذين وصفوا تلك المعارك... وأعطوها صفة أكبر من واقعها، أو رفعوا رجالاً، وحطّوا مكان آخرين، ووصفوا أمراء بما لا يستحقون، أو أنزلوهم من عليائهم إلى

---

(١) المتوكل: جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، أبو الفضل: خليفة عباسي، ولد ببغداد وبويع بعد أخيه الواثق، ترك الجدل في القول بخلق القرآن، هدم قبر الحسين وما حوله، اغتيل عام ٢٤٧ هـ وتآمر ابنه مع المتآمرين.

(٢) الطولونيون: أسس الدولة الطولونية في مصر أحمد بن طولون، أبو العباس، وهو تركي مستعرب، شجاع جواد، كان أبوه من مماليك المأمون، تقدم أيام المتوكل، ثم ولي إمرة الثغور ثم دمشق ومصر واستقل فيها، توفي في مصر عام ٢٧٠ هـ، ومن آثاره قلعة يافا ومسجده المنسوب إليه في القاهرة.

(٣) الحمدانيون: ملك الحمدانيون الموصل ثم حلب واشتهرت دولتهم في حلب وأشهرهم سيف الدولة، وكانوا من الرافضة.

(٤) سيف الدولة: علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي، ولد بديار بكر، نشأ شجاعاً، ملك واسط ثم دمشق، ثم حلب عام ٣٣٣ هـ ومنها نازل الروم، مات بحلب ودفن حيث ولد بضاحية ديار بكر عام ٣٥٦ هـ.

الحضيض، ومن هؤلاء الشعراء المتنبي [١] صاحب الأطماع والذي لازم سيف الدولة مدة ليست بالقصيرة من حياته واشترك معه بنفسه في بعض تلك المعارك، وفي رفع قيمتها فخر لنفسه أيضاً وهو الذي لم يكن لينسى نفسه من الفخر في أية قصيدة أو في أي زمن، ومنهم أبو فراس [٢] الحمداني ابن عم سيف الدولة الذي أوكلت إليه بعض الحروب فكان فارساً، وأُسر [٣] وجرح مرات عديدة، ووصفه القتال بهذا الشكل فخر له ولأسرته الحاكمة.

نقول: إن هذه الحروب تختلف عن سابقتها إن قصائد هؤلاء الشعراء على كثرتها لم تكن تحمل في ثناياها أي معنى من معاني الجهاد وإنما المديح والفخر وعظمة جيش العدو ثم تحطيمه، كما أن ديواني الشاعرين لا يحملان إلا هذه المعاني بجانب القصائد التي لا تمت إلى القتال من وصف وغزل وهجاء و...

وهناك سبب آخر في إعطاء القتال أيام الدولة الحمدانية هذه الصفة من الضخامة وهو أن الدولة الحمدانية كانت شيعية والشيعة

---

(١) المتنبي: أحمد بن الحسين الكندي، مالىء الدنيا وشاغل الناس في شعره، ولد بالكوفة، تنبأ في بادية السماوة فأسره وسجنه لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيد، فتاب، وفد سيف الدولة فمدحه، وانتقل إلى مصر فدح الأخشيد ثم عاد إلى سيف الدولة قتل عام ٣٥٤ هـ.

(٢) أبو فراس الحمداني: الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي، أمير وشاعر، نشأ في كنف ابن عمه سيف الدولة، تقلد إمرة منبج ثم تملك حمص بعد وفاة سيف الدولة وسار ليأخذ حلب فقتل في تدمر عام ٣٥٧ هـ، قتله أحد اتباع سعد الدولة بن سيف الدولة، وأبو فراس خال سعد الدولة.

(٣) كان أسره في بلاد الروم يوم وقع أسيراً زمن سيف الدولة في قلعة خرشنة ثم في القسطنطينية.

كان لهم دورهم الكبير في تسجيل أحداث التاريخ، وبخاصة أن الشعب في كل زمن يساند ولو سراً الفئات التي ينالها ضربات السلطان، والشيعة كانوا على مدار الزمان عرضة لتلك الضربات وملاحقة الحاكم ومطاردته لفساد عقيدتهم، ولا يهمنا هنا عدالة ذلك الأمر أم غير ذلك، وإنما الذي يهمنا أن الناس كانوا يعطفون عليهم وهم لا يعرفون منهم إلا الظاهر، ويخفون ما لا يبدون، هذا بالإضافة إلى علمنا أن سواد الناس لا يسيرون وراء الحاكم إلا بمقدار ما يؤمن لهم مصالحهم، ومصالحهم لا تنتهي، لذلك فهم لا يلبثون أن يديروا له ظهر المجن ولو بالكلام وكلما سنحت لهم الفرصة أظهروا العصيان، ومن طبيعة النفس البشرية حبها الدائم للتغيير كل هذا عندما لا تسيطر الناحية الروحية على جوانب النفس وتقودها إلى الطريق الصحيح ولكن عندما يستبد بها الهوى وتحركها المصالح الدنيوية، ومن هذا نخلص إلى أن دور الحمدانيين لم يكن ذلك الدور الكبير الذي أعطاهم إياه التاريخ الذي بين أيدينا.

وضعفت الدولة بانقسامها وتجزئتها، وضعف الجنود نتيجة ذلك الوضع السياسي، وانخفضت روحهم المعنوية بسبب ضعف الإيمان ولهذا استطاع الروم البيزنطيون أن يدحروا المسلمين، وأن يدخلوا تلك الثغور، وأن يجتاحوا أرضاً واسعة امتدت من طرسوس على ساحل البحر الأبيض المتوسط حتى جنوبي مدينة باكو[1] على بحر الخزر شملت مرتفعات طوروس وأرمينيا وجنوب

(١) باكو: مدينة كبيرة على بحر الخزر تقع في منطقة غنية اليوم بالنفط، وهي مركز جمهورية أذربيجان التي هي تحت الحكم الروسي.

القوقاز. وفي الوقت نفسه كانت جموع من الترك (الطوغوز أوغوز) تتجه من سهوب تركستان نحو الجنوب الغربي وتجتاز بلاد ما وراء النهر وتعتنق الإسلام، ثم تدخل بلاد إيران وتصل إلى الجزيرة والشام ومنها تنتقل إلى الأناضول لتجابه البيزنطيين وهم في عنفوان انتصاراتهم، فتهزمهم في معركة ملازكرت الشهيرة عام ٤٦٤ هـ(١)، وتدحرهم من آسيا الصغرى كلها ويصبح هؤلاء الترك(٢) سادة جنوب غربي آسية جميعاً أولئك هم السلاجقة، وإذا استطاع الروم أن يستعيدوا المناطق الساحلية إلا أن السلاجقة قد توطدت أقدامهم في الداخل وكانت مدينة قونية مركزهم وقد عرف هذا القسم الذي استقر في هذه المنطقة باسم سلاجقة الروم. وأصبحت هذه القبائل تشرف على منطقة المضايق. كما جاءتهم قبائل تركية أخرى قادمة من الشرق.

كانت أوربا حتى ذاك الوقت توجه عنايتها نحو ضرب المسلمين في الأندلس وتعتقد أن اختلافهم واجتماعهم يمكنانها من تحقيق النصر، كما كانت تظن أن جبهة الشرق يسدها البيزنطيون إلا أن فألها قد

---

(١) تعد من أشهر المعارك في التاريخ الإسلامي بعد العصر الإسلامي الأول كان عدد المسلمين عشرين ألفاً ويزيد عدد الروم على مائتي ألف ومع هذا فقد وقع امبراطور الروم وبطارقته كلهم وأكثر قادته أسرى بيد المسلمين.

(٢) الترك: قبائل كثيرة تنتقل في سهوب تركستان وتصل في تنقلها إلى مرتفعات آسيا الوسطى، وقد عرفها العرب جميعها باسم الهياطلة ثم ظهر أنها عدة قبائل، وكانت تنتقل تباعاً نحو الجنوب وتعتنق الإسلام، ومنها: الطوغوز أغوز أو القره خانية وهم الذين حملوا اسم السلاجقة فيما بعد.

خاب في كلا الجبهتين، ففي الأندلس انتقل يوسف[1] بن تاشفين من المغرب إلى الأندلس ونازل الصليبيين هناك، وانتصر عليهم انتصاراً حاسماً في معركة الزلاقة عام ٤٦٩ هـ أي بعد معركة ملازكرت بخمس سنوات فقط، وفي الشرق تبين أن البيزنطيين ليسوا أهلاً للدفاع عن تلك الجبهة إذ هزموا هزيمة منكرة ــ كما رأينا ــ على يد ألب أرسلان[2] في معركة ملازكرت وهذا ما حدا بالأوربيين أن يتجهوا نحو المشرق بعد أن يئسوا من تحقيق النصر في الأندلس، فادعوا أن السلاجقة قد أساءوا معاملة النصارى الذين يفدون إلى المشرق لزيارة بيت المقدس، وانتقلوا إلى الجبهة الشرقية.

اتجه الصليبيون نحو فلسطين وفي طريقهم احتلوا أجزاء من سواحل الأناضول، كما قامت دولة نصرانية في كيليكيا يحكمها الأرمن. إلا أن غزو الصليبيين لمدينة القسطنطينية جعل النصارى ينقسمون إلى لاتين وإغريق ويقع الخلاف بين الطرفين. وأخيراً طرد الصليبيون من المشرق.

(١) يوسف بن تاشفين بن ابراهيم الصنهاجي اللمتوني، أبو يعقوب: أمير المسلمين، وملك الملثمين، سلطان المغرب الأقصى وباني مدينة مراكش، أول من دعي بأمير المسلمين، ولاّه ابن عمه أبو بكر بن عمر المغرب فاستقل به وحارب في الأندلس، وهذا ما حدا بابن عمه أن يتجه نحو الجنوب وأن يقضي على دولة غانا. توفي يوسف عام ٥٠٠ هـ.

(٢) ألب أرسلان: ثاني حكام السلاجقة بعد عمه طغرُل، الذي كان مركزه في مدينة مرو، ونقل ألب أرسلان عاصمته إلى أصفهان، توفي عام ٤٦٥ هـ، وملك بعده ابنه ملكشاه الذي أصبح مركزه بغداد.

قام المغول من الشرق يتجهون نحو الغرب يدمرون أمامهم كل ما يجدون ويفتكون بالناس على اختلافهم وإن كان حقدهم منصباً على المسلمين إلا أنه لم ينج منهم أحد لذا بدأت تفر من أمامهم القبائل كلها مسلمة ووثنية، وكانت القبائل الوثنية تنتمي إلى أصول كثيرة إلا أن أغلبها كان من الغز (التركمان) ووصلت هذه القبائل في فرارها غرباً إلى الأناضول وأقامت في تلك المناطق أمكنةً لسكناها. وهذا ما جعل الأتراك يزداد عددهم في الأناضول، وفي الوقت نفسه كانت دولة بيزنطة تنقل عدداً من جنودها المرتزقة ــ وكان بعضهم من الأتراك ــ تنقلهم من البلقان إلى الأناضول. وفي الوقت الذي كان يزداد عدد المسلمين بشكل مستمر كان يتناقص عدد النصارى وبخاصة في الريف إذ بدأ أكثرهم ينتقل من القرى إلى المدن، وهذا ما كان له أثره الكبير على الجيوش البيزنطية إذ أن المدن تعتمد على القرى في اقتصادها وبالتالي تعتمد الجيوش على منتجات الريف. كما لوحظ في عهد السلاجقة تعاون كلي بين النصارى في هذه البلاد وبين الصليبيين مما حدا بالسلاجقة إلى أن يجلوا النصارى من المناطق الداخلية إلى السواحل.

انقسم السلاجقة إلى إمارات عديدة تجاهد البيزنطيين، كما وجدت إمارات أخرى غير سلجوقية تقوم بالمهمة نفسها تحت حمايتهم.

العُـثمانيّونـ

كان من القبائل الوثنية التي فرّت أمام المغول المتوحشين قبيلة صغيرة يتزعمها أميرها سليمان شاه الذي انتقل بجماعته نحو الغرب، ولكنه لم يتمّ الطريق إذ غرق في مياه نهر الفرات عندما أراد اجتيازه، ولا يزال قبره قائماً هناك. فتابع ابنه أرْطـُغْرُل سيره بالقبيلة نحو الشمال حتى وفدوا الأناضول في عهد السلطان السلجوقي علاء الدين الأول، فاستقروا في المنطقة الشمالية الغربية وتوفي أرطغرل سنة ٦٨٧ هـ.

وبعد أرْطـُغْرُل خلفه على زعامة القبيلة ابنه عثمان، وكان الرعي هو المهنة التي يزاولونها، ولما عاشوا في بيئة اسلامية، فقد دخلوا في الاسلام، ولم يكن تحت إمرة عثمان وقتذاك سوى ٤٠٠ فارس ومع ذلك استطاع فتح مدينة قره حصار واتخذها قاعدة له. وبعد مداهمة المغول للسلاجقة عام ٦٩٩ هـ، أعلن عثمان استقلاله بما تحت يده من الأرض، بل جاء أمراء البيت السلجوقي ليعيشوا في كنفه وفي الوقت نفسه أصبح ملاذاً للمسلمين جميعاً الذين يعيشون في تلك الديار أو الذين يفرّون من وجه التتار.

فعثمان هذا أول الذين اعتنقوا الاسلام في هذه القبيلة وإليه ينتسب العثمانيون، ولهذا الانتساب معناه إذ لم يكن للذين سبقوه من الأمراء رابط نسب يفتخرون به ما داموا من غير المسلمين لذا كان الانتساب إلى عثمان هذا. وظل التركمان يعيشون في الهضاب الشرقية.

توفي عثمان عام ٧٢٧ هـ فخلفه ابنه أورخان الذي تمكن من فتح بروسه وأنقره وأزمير، وأسس الجيش الإنكشاري وتوفي عام ٧٦١ هـ، وخلفه ابنه مراد الأول، فتخطّى مضيق البوسفور ومنطقة القسطنطينية واتجه نحو أوربا يفتح في أراضيها ويجاهد أهلها. وجاء بعده ابنه بايزيد الأول الذي اضطر أن يلتفت إلى الشرق ليلاقي تيمورلنك الذي يتقدم جحافل التتار، وقد هُزم العثمانيين أمام التتار، وذهب سلطانهم بايزيد أسيراً، وحمله تيمورلنك معه وذلك عام ٨٠٥ هـ. واختلف أبناء بايزيد على الحكم بعد جلاء التتار وتمّ الأمر أخيراً لمحمد الأول ابن بايزيد، واستمر فيه حتى عام ٨٢٥ هـ حيث استطاع أن يوحّد ما افترق من البلاد، وجاء بعده ابنه مراد الثاني حتى عام ٨٥٥ هـ ثم تسلم الأمر ابنه محمد الثاني الذي عرف بالفاتح حيث تمّ على يديه فتح مدينة القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ وأصبح اسمها اسلام بول (استانبول) أي مدينة الإسلام، وكانت هي وما حولها المنطقة الوحيدة التي بقيت للدولة البيزنطية العجوز. وتوسع محمد الفاتح في أوربا إذ دانت له معظم شبه جزيرة البلقان، وبذا ضمّ فتحاً جديداً إلى الفتوحات الإسلامية. وبعد محمد الفاتح جاء ابنه بايزيد الثاني عام ٨٨٦ هـ، واستمر في الحكم حتى جاء ابنه

السلطان سليم الأول عام ٩١٨ هـ، وبقي في نزاعه مع أخيه أحمد مدة عام كامل ثمّ استتب له الأمر.

بعد أن استتب الأمر للسلطان سليم غيَّر الخطة التي سار عليها العثمانيون قبله إذ كانت وجهتهم أوربا يجاهدون فيها ويديرون ظهرهم للشرق ما دام سكانه من المسلمين بل ربما كان رأيهم ألا يخوضوا في المشكلات القائمة هناك والتي يمكن أن تسبب لهم كثيراً من الأزمات.

لقد ترك السلطان سليم الأول خطة أسلافه، واتجه نحو الشرق، يحارب الصفويين ويُقاتل المماليك، ويضمّ ومن بعده ما استطاعوا من بلاد المسلمين. ولقد قيلت آراء كثيرة في هذا التغيير إذ قيل: إن السلطان سليم اتجه يقاتل الصفويين لأنهم نصروا أخاه أحمد وأيّدوه ضده. وقيل إن السلطان سليم قاتل الصفويين للخلاف المذهبي بين الفريقين إذ ينتمي العثمانيون إلى أهل السنة وينتمي الصفويون إلى الشيعة. وقيل: إنه حارب المماليك الذين دعموا الصفويين أو على الأقل لم يساعدوه في حربهم رغم أنهم والعثمانيون من أهل السنة. ويصر آخرون على أن السلطان سليم كان اتجاهه نحو المشرق ليحقق انتصارات بعد أن توقفت جيوشه في أوربا ولم تعد تستطيع التقدم نتيجة المقاومة الكبيرة التي وجدتها هناك.

ومهما كان من أمر فيجب أن لا ننسى نقطتين أساسيتين وهما:

١ ــ إن الشعب العثماني كان لا يزال سليم الفطرة شجاعاً صاحب عاطفةٍ إسلاميةٍ قويةٍ يهمه كل ما يحدث في العالم الإسلامي.

وكان الجيش الانكشاري على درجةٍ من القوة تمكّنه من العمل بنجاح في كل ميدان.

٢ ــ إن أوربا التي عجزت عن مواجهة العثمانيين والوقوف أمامهم وبخاصةٍ بعد فتح القسطنطينية، وكانت قد دُحرت من قبل من المشرق رأت أن تُعيد الكرة وتُجرّب حظها مرة أخرى في الأندلس، والواقع أن رأيها كان على صواب فقد تمّ لها الأمر، إذ أن المسلمين هناك كان قد زاد انقسامهم، واتسعت الشقة في تفرقهم وضُعف الإيمان من نفوسهم، فلقد طردت أوربا المسلمين من الأندلس واقتفت آثارهم تلاحقهم في بلاد المغرب وفي الوقت نفسه فقد وصلت إلى أقصى جنوب إفريقية والتفّت حول تلك القارة وطلعت على بلاد الإسلام من الجنوب بل إن طلائع ملاّحيها وجنودهم قد وصلوا إلى الهند، واتصلوا أثناء رحلتهم هذه بالصفويين كما انتصروا على المماليك في القتال البحري الذي دار بينهما.

كان على العثمانيين إذن ــ وهم أصحاب العاطفة الإسلامية ــ أن يقفوا في وجه البرتغاليين ــ طلائع أوربا ــ وان يُؤدّبوا الذين اتصل بهم البرتغاليون وهم الصفويون، وأن يؤلفوا جبهةً إسلاميةً واحدة كي يستطيعوا مواجهة أوربا في المشرق كما يقاتلونها في المغرب وهذا ما فعلوه، لقد قاتلوا الصفويين وانتصروا عليهم في معركة جالديران عام ٩٢٠ هـ ودخلوا عاصمتهم تبريز. ووقف المماليك في وجه العثمانيين لتأليف جبهةٍ إسلاميةٍ واحدة خوفاً على مصالحهم فكان على العثمانيين أن يقاتلوهم ويدخلوا بلادهم وهذا ما فعلوه، وبهذا استطاعوا أن يحولوا دون إمكانية تحقيق أطماع البرتغاليين في

أرض الإسلام سواء في الوصول إلى المدينة المنوَّرة أم في تحويل مجرى نهر النيل لتتدفق مياهه في البحر الأحمر، أم في دخول مياه البحر الأحمر[1] .

مات السلطان سليم الأول عام ٩٢٧ هـ وخلفه ابنه السلطان سليمان الذي عرف باسم القانوني، وقد وصلت الدولة العثمانية أيامه إلى أزهى مجدها وأكبر قوتها وأكثر اتساع لها إذ تمّ له ضمَّ البلاد العربية كلها ودقّت جيوشه أبواب فيينا عاصمة النمسا. ومع هذه القوة فقد وقع في خطأ كبير إذ أراد إعادة الحياة التجارية إلى البحر الأبيض المتوسط وجعله الطريق العالمية مرة ثانيةً بعد أن انتقلت إلى رأس الرجاء الصالح عن طريق الالتفاف حول إفريقية لذا فقد عقد عدة اتفاقيات مع دولٍ أوربية تختلف مع البرتغال اقتصادياً وأعطى هذه الدول صلاحياتٍ واسعةً في أراضيه ظناً منه أنه يستطيع إلغاء هذه الاتفاقيات أو طرد الدول من أي مكانٍ ما دام يملك القوة الكافية للردع. ولكن ضعُفت الدولة بعده وبقّيت صلاحيات تلك الدول قائمةً يلاقي منها المسلمون ما يلاقون.

ضعفت الدولة العثمانية بعد السلطان سليمان وإن استطاعت في بعض الفترات أن تنهض من كبوتها، وان تسير الجيوش للفتح، واستطاعت أن تحاصر مدينة فيينا عام ١٠٩٥ إلا أن الخط البياني استمر في الانخفاض.

في الوقت نفسه كانت أوربا تنهض من كبوتها وتقف على قدميها

---

(١) انظر الكشوف الجغرافية حقائقها ــ ودوافعها.

بقوة واتجهت نحو الدولة العثمانية وأراضيها تريد تحقيق مصالحها ومدّ نفوذها، ولكن اختلاف الدول الأوربية فيما بينها جعل عمر العثمانيين يطول. كانت انكلترا تريد اقتطاع أكبر جزء من أراضي العثمانيين، وتريد المحافظة على طريق الهند عن طريق سيطرتها على مصر بالدرجة الأولى. وكذا كانت مصالح فرنسا التي تنافس انكلترا في كل مكان وبخاصة في مصر، هذا إضافة إلى النمسا وبروسيا والدويلات الايطالية وبخاصة جنوه والبندقية.

أما روسيا فإنها ترى إعادة القسطنطينية مركزاً للمذهب الارثوذكسي الذي أصبح في موسكو، والسيطرة على المضايق (البوسفور، والدردنيل) وتنادي بهذا الرأي صراحةً باسم الوصول إلى المياه الحرة. وفي الوقت نفسه فإنها تكيد المسلمين وتعدّهم أعداء دائمين لها ما دامت تقاتل التتار في الشرق والجنوب وهم من المسلمين وتقاتل العثمانيين الذين دخلوا القسطنطينية مركز المذهب الارثوذكسي وهم من المسلمين أيضاً وكلاهما يمت إلى الآخر بصلة من ناحية الجنس. ولكن خوف فرنسا وانكلترا من الروس جعلهم يقفون دائماً في وجه مصالح روسيا في الدولة العثمانية. وسياسة هذه الدولة لم تتغير على مدار التاريخ مهما تعاقب عليها من حكومات.

واستطاع سلاطين بني عثمان أن يحتفظوا بمركزهم بما اتخذوه من سياسة وما ساروا عليه من مرونة وبما عرفوه من تضارب مصالح الدول الأوربية وإن اضطروا في بعض الأحيان أن يوقّعوا بعض المعاهدات الافرادية ويتركوا نتيجتها بعض أملاكهم أو يتنازلوا عن

بعض سيادتهم على أجزاء من دولتهم كمعاهدة قينارجة [1] ومؤتمر برلين [2]، وقد تكون بعض المعاهدات السرية التي تتنازل فيه الدولة العثمانية لإحدى الدول الأوربية عن بعض القواعد في سبيل حمايتها ومقابل الوقوف بجانبها.

وبضعف الدولة العثمانية وأطماع الدول الأوربية شجع بعض أصحاب النفوذ [3] والسيطرة على الانفصال بما تحت أيديهم من أملاك وتوسعتها على حساب الآخرين ومحاربة بعضهم بعضاً مما زاد

---

(١) معاهدة قينارجة: معاهنة وقعت بين الروس والعثمانيين عام ١١٨٨ هـ تنازلت فيها الدولة العثمانية عن ميناء آزوف فصار لروسيا قواعد حربية على هذا البحر، كما اعترفت باستقلال تتار القرم، ومنحت اسطول روسيا حق المرور في المضايق، كما بنت الدولة كنيسة في استانبول، وأصبحت روسيا حامية جميع النصارى الارثوذكس في الدولة العثمانية.

(٢) مؤتمر برلين: عقد عام ١٢٩٥ هـ وفيه حققت الدول الأوربية بعض مصالحها في الدولة العثمانية إذ أخذت فرنسا تونس وانكلترا قبرص و...

(٣) من هؤلاء المتنفذين ضاهر العمر إذ استقل في شمال فلسطين وحارب الدولة العثمانية مع ثائر آخر هو علي بك الكبير أحد المماليك من حكام مصر في الوقت الذي كان فيه العثمانيون يحاربون الروس، وقد سار الجيشان معاً لأخذ دمشق ولكن محمد أبو الذهب قائد علي بك الكبير ترك أمر سيده، وانسحب من المعركة راجعاً إلى مصر ليقتل سيده، كان ذلك عام ١١٦٢ هـ.

ومن هؤلاء المتنفذين بشير الشهابي في لبنان ومن قبله فخر الدين المعني الذي كانت الدويلات الإيطالية من ورائه، وكان عندما يعجز عن مقاومة الدولة لم يجد أمامه سوى الفرار إلى إيطالية فكيف يكون وطنياً من يتلقى مساعدات من الخارج، ويحرّض على حرب الدولة، ثم يلتجيء إلى الأجانب، كل ذلك وراء أطماعه الشخصية، وكل نعت لهم بان هذا لم يكن إلا في سبيل انقاذ البلاد من الحكم العثماني إنما محض افتراء فلم يكن الدافع لهذه الأعمال إلا حب السيطرة.

العثمانيين ضعفاً، ولم يكن محرك أصحاب النفوذ هؤلاء الوطنية كما يحاول بعضهم أن ينعتهم بها وإنما الاطماع الشخصية والرغبة في النفوذ بل ان الدول الأوربية كانت أحياناً من وراء هذا كله وأكثر أصحاب الأطماع الشخصية هؤلاء من الفرق الضالة ولكن يعطون صفة الوطنية لسيادة العصبية القومية.

وتعرضت الدولة العثمانية في أواخر عهدها إلى حرب شديدة أشد مما تعرضت له في كل عهودها السابقة فإضافةً إلى أطماع الدول الأوربية التي ما انقطعت طيلة العهد العثماني عن التفكير في حرب المسلمين وتجزئة بلادهم جاء دور اليهود، وفكرة العصبية القومية.

فاليهود أرادوا أن يجمعوا شتاتهم في الأرض وان يكونوا لهم دولةً ذات شأن ليتخلصوا من احتقار أهل الأرض لهم لما عرف عنهم من مؤامرات واتخاذ السبل كافة في سبيل ابتزاز الأموال، وكانت وجهتهم فلسطين (الأرض المقدسة)، وكانت تتبع الدولة العثمانية، فحاولوا جهودهم القوية وبذلوا امكاناتهم الضخمة في سبيل تحقيق مآربهم، ولكن ذلك لم يثن عزم السلطان على رفض مطالبهم والوقوف في وجههم، فكانت أن وجهت الدعاية ضده وقرروا التخلص منه، وأول سهامهم عليه، كانت الدعاية أنه كان سفّاكاً للدماء حتى أطلقوا عليه لقب السلطان الأحمر، وان السبايا الشركسيات كانت تملأ قصوره، وأن رجال المخابرات قد انتشرت في كل مكان. ويا للعجب كيف لا تكثر مخابرات رجل تتكالب عليه الدنيا؟ الدول الكبرى من الخارج، وأصحاب النفوذ من الداخل وأصحاب المال والثراء يبذلون كل ما يستطيعون في سبيل القضاء عليه.

وأما العصبية القومية فقد رأى الأوروبيون أن أفضل سبيل لتجزئة الدولة العثمانية هو ضربها من الداخل، وليكون لهم نفوذ يجب الاعتماد على النصارى، فقامت الإرساليات التنصيرية تدعوا إلى الفكرة القومية وكان مهدها بلاد الشام حيث يكثر النصارى هناك.

وتوسعت دعاية اليهود، ونمت العصبية القومية، إلا أن دور اليهود كان أكبر حيث كان عدد من يهود الدونمة يحتلون مراكز جيدة سواء في الجيش أم في الادارة. كما أن المسلمين قد قاوموا الفكرة القومية لمخالفتها لدينهم ولأن الذين يحملونها إنما هم الأجانب أولاً والنصارى ثانياً، حيث ليس لهم من دعوة غيرها.

وساعد اليهود فكرة القومية العربية إذ دخلوا في منظمات تركية وتبنوا فيها الدعوة إلى القومية التركية، وهذا ما حدا بالعرب إلى أن يقوموا برد فعلٍ وأن يدعوا إلى القومية العربية، ولأول مرة يقبل بعض المسلمين العرب فكرة القومية العربية كرد فعلٍ، وحرب على الفكرة بالذات، وان كانت التركية فوقعوا في الشِّرك من حيث يعلموا أم لم يعلموا.

ونتيجة نمو الفكرة القومية في بلاد العرب ومحاولتهم الانفصال عن الدولة العثمانية ومؤامرات اليهود ودعايتهم وتدخل الدول الأوربية ورغبتها في اقتطاع أجزاء من بلاد العثمانيين انهارت قوى الدولة رغم قوة السلطان إذ استطاع عبد الحميد أن يحتفظ بمركزه مدة ٣٣ عاماً (١٢٩٣-١٣٢٧) بقوة شخصيته وفكرته التي تبناها وهي الجامعة الإسلامية ومرونته التي امتاز بها ودهائه الكبير. ولكن العوامل المضادة كانت أكبر من هذا بكثير.

الدَولــَة الــتُركـيَّة

تحركت قوة من الجيش من سالونيك واستولت على الحكم عام ١٣٢٧ هـ، وكان يسيرها دعاة العصبية التركية الذين يأتمرون بأوامر يهود الدونمة، واضطر السلطان للرضوخ واظهار الرضى ريثما يجد الوقت المناسب، واستمر الوضع عاماً، وبدا للعسكريين أن السلطان يماهلهم فاستبدلوه، وأصبح الخلفاء من بعده أداة طيعةً للعسكريين أو لدعاة القومية التركية الذين يسيرهم الدونمة، إذن نستطيع أن نقول من هذا التاريخ: إن الدولة أصبحت قومية تركية ولم تعد عثمانية إسلامية إذ أصبح الحكم قومياً وان بقي على رأس السلطة شخص ينتمي إلى آل عثمان، يحمل اسم خليفة، ولم يكن في الواقع سوى صورة تسيّر من ورائه الأمور ويضطر للتوقيع عليها.

قامت الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣ هـ وانحاز الحكم التركي إلى جانب الألمان. كان يمكن أن يتجنب حكام تركيا الحرب، ولكن رغبوا فيها تنفيذاً لمخطط مرسوم نجح تنفيذه بجر العرب إلى حركة ضد الترك تحت ستار العصبية ورد فعل ضد القومية التركية، وقامت حركة في البلاد العربية عام ١٣٣٥ هـ ضد الحكام الأتراك تخرجهم من أراضيها وبالنتيجة فقد هزمت تركيا، وانفصلت البلاد العربية عنها وأصبحت منطقة أزمير بيد اليونان، ومنطقة أنطاليا في الجنوب بيد

الايطاليين، وكيليكيا بيد الفرنسيين. كما أن مدينة استانبول وما حولها والمضايق قد أصبحت بيد قوة من الحلفاء. وأجبرت تركيا على توقيع معاهدة سيفر مع المنتصرين اعترفت بالأوضاع الجديدة ثم عدلت بمعاهدة انقرة ١٣٣٩ هـ.

قامت حركة في قلب الأناضول يتزعمها أحد الضباط الأتراك هو مصطفى كمال تنادي بإنقاذ تركيا مما لحق بها وتطالب بحرب الأجانب المحتلين وطردهم من البلاد ولم تكن هذه الحركة سوى فكرة قومية يريد الأوربيون إخراجها إلى الناس بشكلٍ كبير واحاطتها بهالةٍ واسعةٍ لتتمكن من السيطرة على الشعب. وتستطيع الاستمرار في الحكم وذلك خوفاً من قيام حركة إسلامية مضادة تعيد السلطة لأنصار فكرة الجامعة الإسلامية ويكون لها رصيد قوي في بقية الأمصار. وفي الوقت نفسه كانت هذه الحركة الكمالية ورقة بيد الغرب ضد الروس الذين حكمتهم الشيوعية فيما إذا أرادوا التدخل في شؤون تركيا أو احتضان حركة متوقعة. وبالواقع فقد هُيِّيء لهذه الحركة أن تحرر منطقة استانبول وان تطرد اليونانيين من الغرب والايطاليين والافرنسيين من الجنوب بحركةٍ تمثيليةٍ، وظهرت أمام الشعب بصورةٍ مجسمةٍ،وعُدّ مصطفى كمال منقذاً لتركيا، ووقعت معاهدة جديدة في لوزان عام ١٣٤٢ هـ اعترف فيها الحلفاء بقيام دولة تركيا الجديدة على أساس قومي. وكانت قد أخذت قارص من منطقة أرمينيا وأعيدت إلى تركيا. ولم تمض أشهر حتى أعلنت الجمهورية التركية ثم ألغيت الخلافة الإسلامية عام ١٣٤٣ هـ ونفي آل عثمان من البلاد، وقام مصطفى كمال بما أسماه بالاصلاحات. فاستبدل

العطلة الأحد بيوم الجمعة، وقبعة الرأس الأوربية بالطربوش، وأخذ بالقانون المدني السويسري عوضاً عن مجلة الأحكام الشرعية وحذف المادة التي تنص على أن الدين الرسمي للدولة هو الإسلام، وبعد خمس سنوات استبدل بالأحرف العربية اللاتينية، ومنع الآذان باللغة العربية، وهكذا سارت تركيا شوطاً بعيداً نحو الحضارة الغربية وأبعدت عن أسس حضارتها الأصلية التي استمرت خمسة قرون، ولم تعد للجيل الجديد أية معرفةٍ بالآداب التركية، ولا بالتاريخ التركي ومصادره ووثائقه إذ أنها مدونة كلها بالحرف العربي. ولا بد من القول هنا إن الدول الأوربية التي سيطرت على أمصار العالم الإسلامي لم تجرؤ من تغيير الحرف العربي التي تستعمله تلك الأمصار التي يسيطرون عليها إذ أن أمصار العالم الإسلامي كانت كلها تستعمله في الكتابة حتى إذا فعل مصطفى كمال فعلته أقدمت على هذا التغيير هولندة في أندونيسيا، وروسيا في منطقة التركستان.

وقبل قلب الصفحة عن تاريخ العثمانيين لا بد من إعطاء صورة مختصرة عنهم، في الوقت الذي يعدّهم الكثير من سكان البلاد العربية مستعمرين يعدّهم آخرون حكاماً يطبقون الشريعة وإنصافاً للواقع نقول:

إن العثمانيين قد قدّموا خدمات جلى للمسلمين بوجه عام وللعرب بوجه خاص، إذ عملوا على منع البلاد العربية من الوقوع فريسة في يد المستعمرين الصليبيين الأوائل الذين كان حقدهم على الإسلام عظيماً إذ لو تمكّنوا من ديار العرب آنذاك فلربما فعلوا أسوأ ما يمكن أن تفعله البشرية، كما أن العثمانيين قد جعلوا البلاد العربية تتبع لسلطةٍ

واحدة بغض النظر عن هذه السلطة وهذا ما قدم خدمات واسعة لسكان هذه البلاد إذ كان الاحتكاك كبيراً فليس من حاجز يفصل بينها كما أنهم أخروا الاستعمار قروناً إذ كانت البلاد العربية يوم مجيء العثمانيين في حالة رقود تام، وضعف عام، وتجزئة كاملة. وفي الوقت نفسه فإن العثمانيين كانوا جهلة لم يستطيعوا حمل الحضارة واحياءها من جديد وبعثها من مرقدها وبهذا فقد أساءوا لأنفسهم وللعرب وليس للعرب فقط فهذه الاساءة لم تكن مقصودة وإنما للجهل القائم كما أنهم حالوا بيننا وبين الحضارة. ويكفي أخيراً أن نعرف موقفهم من قضية فلسطين وكيف فضّلوا زوال دولتهم على إعطاء اليهود حقاً بالسماح لهم ببناء مستعمرات على أرض فلسطين، وبالفعل فإن هذا يُعدّ أهم عامل في زوال دولة بني عثمان إذ معروف لدى الجميع قوة اليهود المالية ومؤامراتهم الدنيئة وسيطرتهم على كثير من مؤسسات العالم.

ورغم أن هوية الحركة القومية في تركيا التي تزعمها مصطفى كمال معروفة إلا أن عادة الغرب السياسية أن تبقى لديهم ورقة لعب يستطيعون استعمالها وقت الحاجة، وجرت العادة أن تكون هذه الورقة إيجاد نقاط خلاف بين الدول المتجاورة، وأهم هذه النقاط يجب أن تكون بالنسبة إلى تركيا مع البلاد العربية. فقد وجدت منطقة نزاع بين تركيا والعراق ثم حُلّت لصالح العراق وضمت الموصل إليه، ووجدت منطقة نزاع بين سورية وتركيا حُلّت لمصلحة تركيا وضُمّت منطقة اسكندرون إلى تركيا رغم أن أكثرية سكانها من العرب وذلك عام ١٣٥٨ هـ، وان كان السوريون والعرب يعدون منطقة كيليكيا

ومرعش وماردين وديار بكر مناطق عربية، ويقولون إن ذرى جبال طوروس هي الحد الفاصل بين الأتراك والعرب، وهي منطقة الثغور القديمة، وإن لم تكن لتوجد حدود طبيعية بين بلاد المسلمين إذ أن ديار الإسلام يحق لكل مسلم أن يدخل إليها ويسكن حيث أراد بغض النظر عن الجنس الذي ينتمي إليه.

ولقد مات مصطفى كمال عام ١٣٥٨ هـ وخلفه عصمت إينونو[١] في رئاسة الدولة التركية وزعامة حزب الشعب الجمهوري الذي أسس سنة ١٣٤٣ هـ وذلك حتى عام ١٣٧٠ هـ. ووقف بالبلاد على الحياد في الحرب العالمية الثانية وبانتهائها عام ١٣٦٥ هـ أعلن نهاية حكم الحزب الواحد فشكل المعارضون الحزب الديموقراطي ولكن هذا الحزب لم ينل في انتخابات عام ١٣٦٥ هـ سوى سبعين مقعداً من أصل ٤١٦ مقعداً، أما انتخابات عام ١٣٧٠ هـ فقد نال أغلبيةً ساحقةً، وأصبح جلال بايار رئيساً للجمهورية وعدنان مندريس رئيساً للوزراء. وكان حزب الشعب الجمهوري الذي يرأسه عصمت إينونو يمارس سياسة المعارضة، كما تكرّر فوز الديمقراطيين في انتخابات ١٣٧٤ هـ.

سارت تركيا خلال هذه المدة سواء الحزب الحاكم أم المعارض سياسة خارجية مؤيدة للغرب، فقد أرسلت قوة تركية إلى كوريا عام ١٣٧٠، ودخلت عضواً في حلف شمال الأطلسي عام ١٣٧٢ هـ، كما

---

(١) عصمت إينونو وتوفي ١٣٩٣ هـ. كان ضابطاً في الجيش وقد شغل منصب أركان حرب عزت باشا للقوات العثمانية في اليمن.

كانت عضواً مؤسساً في حلف بغداد عام ١٣٧٤ هـ (حلف المعاهدة المركزية فيما بعد).

حدث انقلاب عسكري عام ١٣٨٠ هـ بقيادة جمال غورسيل(١) إلا أن هذا الانقلاب قد أعلن أنه سيسلم المدنيين الحكم بعد مرحلة انتقالية وبالفعل فقد جرت انتخابات عام ١٣٨١ هـ حصل فيها حزب الشعب ١٧٣ مقعداً وحصل حزب العدالة الذي تألف حديثاً إثر الانقلاب العسكري على ١٥٨ مقعداً، وافتتح المجلس النيابي، وانتقلت السلطة إلى المدنيين، وانتخب جمال غورسيل رئيساً للجمهورية وكان المرشح الوحيد، وكلف عصمت إينونو زعيم حزب الشعب بتشكيل وزارة ائتلافية.

وجرت انتخابات عامة عام ١٣٨٥ هـ فاز فيها حزب العدالة بالأغلبية، وشكّل سليمان ديميريل الوزارة. ونظراً لسوء حالة رئيس الجمهورية الصحية جمال غورسيل فقد انتخب جودت صوناي رئيساً للجمهورية عام ١٣٨٦ هـ. وحاولت تركيا خلال هذه المدة أن تسير شوطاً في سياسة عدم الانحياز فقد عملت على تحسين علاقاتها مع الروس، كما وسّعت علاقاتها مع بقية الدول الشيوعية ووقفت بجانب البلاد العربية إثر عدوان اليهود على سورية ومصر والاردن عام ١٣٨٧ هـ، وأغلقت المكتب السياحي الاسرائيلي في تركيا عام ١٣٨٨ هـ كما ألغت اتفاقية التجارة التي كانت قد عقدت بين تركيا واسرائيل عام ١٣٨٠ هـ.

---

(١) جمال غورسيل من الضباط القدماء الذين قاتلوا مع مصطفى كمال في غاليبولي وتوفي عام ١٣٩١ هـ.

وإثر انتخابات عام ١٣٨٩ هـ فاز مرة أخرى حزب العدالة بالأغلبية، وعاد سليمان ديميريل إلى رئاسة الوزارة إلا أن الجيش تدخل في الأمر عام ١٣٩١ هـ وأقال رئيس الوزارة من منصبه بسبب تمرّده على تعليمات الجيش، كما هدّد بتعديل قانون الانتخاب بحيث يحصر حق التصويت بالمتعلمين فقط وهذا التهديد موجه ضد حزب العدالة بالدرجة الأولى إذ أن الاكثرية الساحقة من مؤيديهم من الفلاحين الأتراك الذين يقيمون في شرقي تركيا وفي الاناضول حيث ترتفع نسبة الأمية إلى درجة كبيرة، وهذا التهديد إذا ما نفذ يفقد الحزب قوته الشعبية.

وتولى الحكم بعد سليمان ديميريل حكومة مستقلة برئاسة نهاد ايريم، واشترك معه ثلاثة أحزاب هي العدالة، والشعب الجمهوري، والديمقراطي(١)، ثم ما لبث أن سحب حزب العدالة وزراءهُ فاستقالت الحكومة.

وانتهت مدة الرئيس جودت صوناي في الحكم، وحدثت أزمة في انتخاب رئيس جديد إذ رشح الجيش الجنرال فخري كورتورك (٢)

---

(١) استبعد سليمان ديميريل عدداً من الوزراء في حكومته السابقة فنقموا عليه وأضيف إليهم نوليفر غورسوي باياربنت جلال بايار ونجل عدنان مندريس وبعض الأشخاص الآخرين واتجهوا إلى رئيس المجلس وهو فروح بوزبايلي وكان من حزب العدالة وهو طموح فانشقوا عن حزب العدالة وألفوا أو أعادوا الحزب الديمقراطي.

(٢) فخري كورتورك: رئيس الأركان التركي، وزوجه شقيقة زوج الرئيس جودت صوناي. وقد قدم الجنرال كورتورك استقالته من رئاسة الأركان، كما استقال في الوقت نفسه وزير الحربية من منصبه الوزاري ومن عضويته في مجلس الشيوخ لأن=

لهذا المنصب، بينما رشح حزب العدالة السيد تاكين اريبون[1]. وخشية من وقوع الصدام بين العسكريين والأحزاب السياسية فقد بحث تمديد مدة رئاسة جودت صوناي عامين آخرين. إلا أن الانتخاب الذي جرى قد أعطى الرئاسة إلى فخري كورتورك.

وفي عام ١٣٩٢ هـ تكون حزب جديد هو حزب السلامة الوطني الذي يتزعمه السيد نجم الدين اربكان[2]. ولهذا الحزب اتجاه اسلامي، وبعد عام من تأسيسه جرت الانتخابات العامة فحصل على ٤٩ مقعداً في المجلس النيابي على حساب حزب العدالة الذي كان

= الدستور التركي ينص على انتخاب رئيس الجمهورية من بين أعضاء مجلس الشيوخ فقط، واستقالة الوزير هذه إنما لتفسح المجال أمام رئيس الجمهورية لتعيين الجنرال كورتورك في مجلس الشيوخ إذ لم يكن منه.

(١) تاكين اريبون: قائد سلاح الطيران عام ١٣٨٠ هـ عندما وقع الانقلاب الأول بقيادة جمال غورسيل، ولكنه لم يشترك في هذا الانقلاب، وبعد نجاحه حوكم اريبون وحكم عليه بالسجن ستة أشهر كما جرد من منصبه العسكري، وكانت زوجه في الوقت ذاك عضواً في المجلس النيابي، وهي حفيدة الصدر الأعظم أيام السلطان عبد الحميد، وقد حكم عليها بالسجن مدة سنتين ونصف قضتها في السجن كما حرمت من حقوقها المدنية ولا تزال. ويدعم اريبون سليمان ديميريل زعيم حزب العدالة الذي أقاله الجيش من رئاسة الحكومة عام ١٣٩١ هـ.

واريبون هو نفسه رئيس مجلس الشيوخ وسيتولى منصب الرئاسة بحكم القانون إذا لم يتوصل المجلسان إلى انتخاب رئيس جديد.

(٢) نجم الدين اربكان: مهندس ميكانيكي من جامعة استانبول، وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعات المانيا وعاد ليعمل في جامعة استانبول، نال درجة استاذ فيها، وانتخب في عام ١٣٨٨ هـ رئيساً للغرف التجارية والصناعية في تركيا، وبعد توليه هذا المنصب باسبوعين منع الاستيراد والتصدير إلى اليهود في فلسطين فأقالته الحكومة من منصبه ظلماً.

ينال تأييد بعض المسلمين بسبب تصريحات أعضائه وان كانت على درجة ضعيفة من الروح، وحصل حزب الشعب الجمهوري على أكثرية ولكن لا يستطيع معها تشكيل حكومة وحده، فلا بد من ائتلاف حزبي، وكانت مقاعده ١٨٩ مقعداً، وحصل حزب العدالة على ١٤١ مقعداً، وحصل حزب الثقة الجمهوري على ١٢ مقعداً.

وبقيت تركيا مائة يوم بعد الانتخابات دون وزارة، وأخيراً حدث ائتلاف بين حزب الشعب الجمهوري العلماني وحزب السلامة الوطني الاسلامي، ويظهر أن الاخير قد حقق انتصاراً إذ اتفق الحزبان على العناية بالثقافة الاسلامية في المدارس، والسماح للجمعيات الاسلامية بممارسة نشاطها ودعم الحكومة لها، وتوثيق الصلات بالعالم العربي والاسلامي. وأخذ حزب السلامة الوطني نيابة رئاسة مجلس الوزراء بشخصية زعيمه نجم الدين اربكان وسبع حقائب وزارية من بينها وزارة الداخلية والعدل.

وفي أوائل رجب ١٣٩٤ هـ أنزلت تركيا قواتها في جزيرة قبرص إثر الأزمة القبرصية، واحتلت أكثر من ثلث الجزيرة، وبعدها أصبح للحكومة تأييد شعبي، ورغب كل من الحزبين المشتركين في الحكم كسب هذه الشعبية، فأعلن رئيس الحكومة بولاند أجاويد أن حزب السلامة شريكه في الحكم كان يعارض هذا الإنزال التركي في قبرص وذلك بغية ظهوره بمظهر الزعيم للبلاد إذ لحظ أن نجم حزب السلامة وزعيمه اربكان قد علا، وأن قوة تركيا قد بدت باشتراكه في الحكم.

ولإضعاف مركز اربكان الشعبي يجب إبعاده عن الحكم أولاً ثم توجيه الدعاية ضده. لذا فقد اختار أحد وزراء الدولة ليشغل منصب رئاسة الوزراء أثناء غيابه عن البلاد لزيارة البلاد الاسكندينافية؛ وهذا ما يخالف الأعراف إذ أنه يوجد نائب لرئاسة مجلس الوزراء رئيسي ووحيد وهو نجم الدين اربكان.

وعرف أن المقصود من هذا التصرف إنما هو توجيه طعنة للحزب المشارك في الحكم بصورة عامة ولزعيمه نجم الدين اربكان بصفة خاصة وذلك من أجل تقديم استقالته. وبالفعل فقد قدم اربكان استقالته وتقدم وزراء الحزب باستقالتهم أيضاً، وهكذا سقطت الحكومة. ولربما ظن اجاويد أن وزراء حزب السلامة قد لا يتعاطفون مع زعيمهم ويفضلون الاستمرار بالحكم فيحدث انقسام في الحزب أولاً وتضمحل شخصية اربكان، ولكن لم يحدث هذا بل ظهر تماسك الحزب قوياً أكثر مما توقع حزب الشعب الجمهوري.

ورد نجم الدين اربكان على دعاية أجاويد بأن حزب الشعب الجمهوري قد كان شريكاً في الحكم يوم حدثت مذابح للمسلمين الأتراك في قبرص عام ١٣٨٣ هـ ولم يفعل شيئاً سواء داخل الحكومة أم خارجها. كما أن حزب العدالة كان يحكم تركيا يوم وقعت المذابح مرة أخرى في قبرص عام ١٣٨٧ هـ، ولم يحدث إنزال كما أن معارضة حزب الشعب الجمهوري لم تدع إلى ذلك. ولكن الإنزال الذي رفع رأس تركيا كان يوم شارك حزب السلامة في الحكم مما يدل على أنه كان من ورائه وكان عامل الضغط الأساسي للتحرك

باتجاه قبرص وإنهاء عملية المذابح وايقاف القبارصة اليونانيين عند حدهم.

ويرى حزب السلامة ضم الجزء التركي من قبرص إلى تركيا بينما يرى حزب الشعب الجمهوري الحكم الاتحادي في الجزيرة.

وكلف سعدي ايرماك بتشكيل حكومة إلا أنه قد قدم استقالته بعد مدة يسيرة، وكان أجاويد رئيس الحزب الجمهوري في زيارة لألمانية فقطعها وعاد إلى البلاد.

ورفض زعيم حزب الشعب الجمهوري التكليف لتشكيل حكومة بغية ايجاد أزمة وزارية يضطر إثرها رئيس الجمهورية لحل المجلس النيابي وتجري الانتخابات ويقدر بولاند أجاويد نجاح حزبه فيها بالأكثرية ويتحكم هو في حلفائه بالحكم لا يخضع لها من أجل الحصول على الثقة، إلا أن رئيس الجمهورية فخري كورتورك بحكم التقاليد الدستورية يمكن أن يكلف زعيم الحزب الثاني بتشكيل الحكومة وقد عمل بالفعل بهذا إذ عهد إلى سليمان ديميريل بمهمة تشكيل الحكومة.

شكل الوزارة سليمان ديميريل ونال الثقة بأغلبية ضئيلة في أوائل ربيع الآخرة ١٣٩٥ هـ (١٠ نيسان ١٩٧٥).

وقد ضمت ائتلافاً من:

١٤١ نائباً حزب العدالة وكان زعيمه رئيساً للحكومة.

٤٩ نائباً حزب السلامة الوطني وكان زعيمه نجم الدين أربكان نائباً لرئيس الحكومة.

١٣ نائباً   حزب العمل الوطني وكان زعيمه البسلان توركيش نائباً لرئيس الحكومة.
١٢ نائباً   حزب الثقة الجمهوري وكان زعيمه تورهان فايز اوغلو نائباً لرئيس الحكومة.

وكان للمعارضة:

١٨٩ نائباً   حزب الشعب الجمهوري الذي يرأسه بولاند أجاويد.
٤٠ نائباً   الحزب الديمقراطي الذي يرأسه فروح بوزبايلي.

وقد استطاعت هذه الحكومة بجهود اربكان إقامة عدد من المصانع اربكت معها أصحاب رؤوس الأموال، وأنصار الغرب، وتقدم حزب الشعب وحزب العدالة بطلب تقديم الانتخابات من تشرين الأول ١٣٩٧ إلى حزيران من العام نفسه أي مدة ثلاثة أشهر وقد انشق الحزب الديمقراطي في هذه الآونة، وهو يتألف من جناحين:

أ ــ الهلالي: الذي يعتز بالخلافة العثمانية، وقد انضم هذا الجناح بعد الانشقاق إلى حزب السلامة.

ب ــ الذئبي: الذي يتخذ الذئب شعاراً له، اشارة إلى الذئب الذي كان معبود الاتراك قبل اعتناقهم الاسلام. ويضم هذا الجناح ثلثي الحزب وقد انضموا إلى حزب الشعب الجمهوري.

وحدثت فوضى في البلاد فقام انقلاب عسكري برئاسة (كنعان افرين) الذي أصبح رئيساً للجمهورية، واعتقل زعماء الأحزاب جميعاً. وعادت الحياة النيابية إلى البلاد بعد مدة.

مع المجتمع

لقد شُغل العثمانيون الأوائل بالجهاد والفتوحات فبقوا على فطرتهم السليمة وطبيعتهم الأولية أصحاب عاطفةٍ إسلامية بل زادهم الجهاد قوة معنويةً فلم تستذلهم الدنيا ونعيمها ولم يركنوا إلى الأرض وزخرفها، وتوقفت الجيوش عن التقدم ومتابعة القتال ففترت معها همة النفوس وكذا كل أمةٍ بل وكل جماعةٍ ما دام أبناؤها في شغلٍ وحركةٍ هي في تقدم ونموٍ فإذا توقفت عن الحركة انصرف أبناؤها أو أنصارها إلى دنياهم فإذا هي في حالة ركودٍ وضمور تتوازعها الأهواء وتكثر فيها الآراء وبالتالي يقع الخلاف ويحدث الانشقاق ومن هذا لا بد لكل أمةٍ أو جماعة تريد أن تحافظ على كيانها وتستمر في نشاطها من أن تسعى في بقاء حركة أفرادها وإيجاد نظام دائم حركي يستوعب نشاط الأفراد ويستهلك وقتهم ويصرف طاقاتهم نحو البناء وزيادة قوة الجماعة وتقريبها من أهدافها مرحلةً بعد مرحلة وهذا أمر معروف وبخاصة عند الحكومات المستبدة التي تحاول أن تبقي رعاياها في حالة من الفقر حتى ينصرف الفرد بكل طاقاته لتأمين قوت يومه ولا يلتفت إلى عمل رؤسائه ولا إلى ما يجري في مركز الحكم وكذا الحكومات الضعيفة التي توجه أنظار الشعب إلى ناحيةٍ خارجيةٍ مصطنعة كلما استعصت عليها مشكلاتها الداخلية حتى ينصرف الناس من أحداث الداخل إلى المشكلات الخارجية.

وهدأت حركة العثمانيين فأخلدوا إلى الأرض، وأرضهم واسعة

الأرجاء شاسعة الأبعاد وامكانية التنقل في ذلك الوقت صعبة محفوفة بالمخاطر فانتشرت الاقطاعات وسادت طريقة الالتزام من أجل ضبط الأمر وتيسير الطريق وسهولة العمل وفي سبيل جمع الضرائب التي تحتاج إليها الدولة باستمرار لتغطية نفقات القتال وتنقلات المحاربين من جبهة إلى أخرى وإن كانت حروب على نطاق محدود لأن مرحلة الفتوحات قد انتهت ــ كما ذكرنا ــ إلا أنها ما انقطعت في يوم ولا توقفت عاماً ما دام الأعداء يتربصون بنا الدوائر ويحيكون لنا المؤامرات ويتحينون الفرص للإيقاع بنا وسلخ أقسام من أراضينا وفي الوقت نفسه فإن هذا الوضع قد أثار بعض الشخصيات أصحاب الطموع فعملوا على الانفصال بما تحت أيديهم فأدى ذلك إلى زيادة في ضعف الدولة واختلال حبل الأمن وزيادة الفوضى. ونشأ عن هذا الأمر كله انصراف الناس إلى دنياهم وإن وجدت طائفة من العلماء، إلا أنهم اتجهوا إلى التآليف والشروح مبتعدين عن حاجات الناس فلم يعرفوا مقتضيات الأمر ولم يسعوا إلى حل الأمور ودبّ الحركية بين صفوف الشعب مما أبعدهم عنهم وزاد الوضع جموداً.

وجاءت مرحلة الاتصال مع أوربا، وإرسال البعثات، وكانت آنذاك في مرحلة النهوض ونشوء الحضارة ففُتن بعضهم بأوربا وحضارتها، وشُغفوا بحريتها، وقاموا يطالبون بتقليدها والسير على منهجها سيراً حثيثاً والسعي وراءها شبراً بشبر وإن كنا لا نعرف هوية هؤلاء كلّهم وأغراضهم إلا أننا نؤكد أن أكثرهم أو الموجهين لهم على الأقل كانوا من اليهود، يهود الدونمة، الذين غادروا الأندلس بعد خروج المسلمين منها واتجهوا إلى منطقة مقدونيا يقيمون فيها إذ أنها في

ظل الإسلام أولاً ولم يعرفوا حرية إلا في بلاد المسلمين، حيث يستطيعون أن يؤدوا شعائرهم كافة ويقوموا بأعمالهم كاملة. ولما كان المسلمون فقط هم الذين يستطيعون التوصل إلى المراكز الحساسة دون أهل الكتاب لذا فقد أظهر هؤلاء اليهود الاسلام حرصاً على مصالحهم، ومعروف عنهم أنهم يضحون في كل شيء في سبيل الوصول إلى أغراضهم، وقد عرفوا باسم الدونمة أي المرتدين. واستمر هؤلاء المسلمون الجدد اسماً ويهوداً بالفعل يؤدون شعائرهم اليهودية سراً حتى وهم يذهبون مع المسلمين إلى الحج، فاستمر هؤلاء الدونمة يستفيدون من وضعهم حتى تحرك اليهود في العالم يسعون لإسقاط نظام الحكم فلعب الدونمة دورهم في تحطيم المجتمع القائم بابعاد الناس عن عقيدتهم بالدعوة إلى تقليد الغرب والأخذ بنظامه وحمل لواء القومية الطورانية التي أدّت إلى رد فعلٍ لدى أصحاب القوميات الأخرى، وبعد هذه التجزئة قادوا الجيش وأسقطوا نظام الحكم بناء على مخططٍ يهودي إذ لم يسمح لهم السلطان عبد الحميد ببناء مستعمرات لهم في فلسطين كما مرّ معنا.

ولننظر إلى أقوالهم عن بعضهم بعضاً ووصفهم لأنفسهم وتقديمهم إلى المجتمع بصورة معينة، تقول خالدة أديب [١] في كتابها الصراع في

---

(١) خالدة أديب: ولدت عام ١٣٠٣ هـ في استانبول كانت تلميذة نامق كمال دعت إلى تحرير المرأة وهي أول فتاة تركية (مسلمة) تخرجت من الجامعة الأمريكية باستانبول تسلمت وزارة المعارف في تركيا وعهد إليها باصلاح مدارس البنات في سوريا، ناصرت الحركة الكمالية ومنحت رتبة عميد ثم عادتها واتهمت بالتآمر على حياة أتاتورك، فالتجأت إلى انكلترا ثم إلى الولايات المتحدة عندما لم تسر بالطريق=

تركيا بين الغرب والشرق: (كان أعضاء جمعية الاتحاد والترقي[1] الشبان من صغار الموظفين الرسميين، أو ضباطاً في الجيش، ولم يكن فيهم أول الأمر فرداً واحداً حائزاً على مكانة علمية سامية ويفهم الفرق بين العصر القديم والعصر الحديث في ضوء التحليل والنقد العلمي ولكن هؤلاء الشباب كانوا أقرب إلى الشعب وكانوا إنتاجاً وطنياً خالصاً، وكان معظمهم من أهل مقدونيا[2] الذين اشتهروا بحب الواقعية والقسوة، ولا يتحاشون عن شيء في سبيل الوصول إلى غايتهم، لذلك رغم أنهم كانوا يهدفون إلى غاية نبيلة كانوا يستخدمون جميع الوسائل للوصول إلى غرضهم من غير احتشام وتورع[3]) [4].

=التي تريده هي نحو اليهودية، تزوجت مرتين، خدع بها كثير من الكتاب حتى المسلمين منهم، ذكرها الاستاذ أبو الأعلى المودودي بخير وظن أنها صاحبة عاطفة إسلامية، ثم عدل عن رأيه كذلك في كتابه (نحن والحضارة الغربية). وتكلم عنها بخير أيضاً الاستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي في كتابه (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية). ولكن الذي فضح أمرها شيخ الإسلام مصطفى صبري الذي طرده مصطفى كمال وقذف المصحف الشريف على رأسه فقال عنها (يهودية النسب تركية الجنس أو متتركة الجنس والمذهب) وذلك في كتابه (النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة).

(١) جمعية الاتحاد والترقي: الجمعية التي عمل تحت اسمها يهود الدونمة وكانت تدعو إلى القومية الطورانية.

(٢) مقدونية: التي سكنها اليهود الذين قدموا من الأندلس. وهل يعقل أن تكون جمعية عامة تتوصل إلى حكم بلد ومعظم أعضائها من منطقة صغيرة لا تمت إلى القومية التي يدعون إليها بصلة.

(٣) الطريقة يهودية معروفة (الغاية تبرر الوسيلة).

(٤) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية تأليف أبو الحسن علي الحسني الندوي ص ٤٤.

ولست أقول: إنه لا يوجد بين الذين فتنوا بالحضارة الغربية من ينتمي إلى الاسلام، بل كان يوجد عدد كبير منهم وقد لعبوا أيضاً دوراً خطيراً في آرائهم ودعوتهم الناس إلى المجاهرة بالباطل ولكنهم في الوقت نفسه كانوا يُحرّكون من الخلف ويُوجّهون ضمن إطار معين وسياسة مرسومة ولعل من أشهرهم ضياء كوك ألب[١] ونامق كمال[٢]. ولكن أصحاب هذه الدعوات وأنصارهم لم يكونوا

(١) ضياء كوك ألب: ولد عام ١٢٩٣ هـ في ديار بكر من أصل كردي، واشتغل بالتعليم في بداية عهده، وتأثر بمدير معهده الذي كان يهوى آراء الثورة الفرنسية، كما تأثر بعبد الله جودت الذي يحمل أفكاراً إلحادية والذي نفي إلى ديار بكر تلك المدينة التي كانت مركزاً ينفى إليه أصحاب الآراء الغربية. كما تأثر بأحد الأساتذة اليونانيين. سافر إلى استانبول عام ١٣١٥ هـ وانتسب إلى كلية البيطرة، وكان عمله في السياسة أكثر من التعليم، لذا انتخب عضواً في جمعية الاتحاد والترقي السرية. ولما اشتهر أمره أقصي عن التعليم وفرض عليه الاقامة الجبرية في ديار بكر بعد اطلاق سراحه. أصدر جريدتين بعد خلع السلطان عبد الحميد. وأقام في سالونيك، ثم عين استاذاً لعلم الاجتماع بجامعة استانبول عام ١٣٣٤ هـ، وهرب من البلاد إثر هزيمة تركيا. ثم عاد بعد انتصار مصطفى كمال، وعين رئيساً للجنة التأليف والترجمة، وكان يؤيد مصطفى كمال بحماسة. انتخب نائباً عن ديار بكر عام ١٣٤١ هـ، وتوفي عام ١٣٤٣ هـ.

(٢) نامق كمال: (١٢٥٨-١٣٠٧ هـ) ينتمي إلى أسرة ثرية، تعلم في بيته العربية والفارسية والفرنسية كان شاعراً أديباً صحفياً، اشترك في تحرير مجلة (تصوير افكار) التي كان يصدرها ابراهيم شيناسي. حمل لواء القيم الإسلامية بكل إخلاص، وانتقد زعماء التنظيمات لأنهم اخفقوا في الحفاظ على التقاليد الإسلامية وأنهم استوردوا الأفكار من أوربا. ورغم أن دعوته كانت فيها كثير من الاتزان في الافادة من حضارة الغرب إلا أن دعوته إلى الاتحاد الإسلامي وآراءه في الحرية سببت له الاخراج من البلاد فبقي ثلاث سنوات في لندن وباريس وفيينا، ثم عاد ولكن لم يلبث أن نفي إلى قبرص. ويعد نامق كمال من الرجال المعتدلين وليس من أمثال ضياء كوك ألب.

ليشكلوا إلا جماعة صغيرة من مجموع السكان ولكنها جماعة متحركة تعمل بجد لبث آرائها إذ تملك الامكانات الكافية بما تأخذ من مساعدات وبما تحصل عليه من تأييد. ولأن الشعب جاهل لا يستطيع العطاء وإنما يتقبل الأخذ، أما بقية المجتمع فلا يزال مسلماً فقيراً لا يخضع إلا لتأثير الدين ولا يقبل موجِّهاً إلا العلماء. حتى أن مصطفى كمال عندما قام بحركته لم يستطع أن يُحرّك الشعب إلا عن طريق الاسلام رغم كرهه الشديد له وحربه الدائم له، فكان وأنصاره يحضرون الصلوات في المساجد والمناسبات الدينية مع الشعب ولإتقان التمثيلية فقد استقدم الشيخ أحمد السنوسي [١] وجعله أمامه في كل عمل. وبهذه التمثيلية المتقنة الإخراج استطاع أن يحرك عواطف المجتمع ويسيره وراءه. وأن يظهر للناس بطلاً ومنقذاً للبلاد بعد أن أخرج الأجانب من تركيا.

---

(١) أحمد السنوسي (١٢٨٤-١٣٥١). هو أحمد الشريف بن محمد بن محمد بن علي السنوسي من كبار السنوسيين أصحاب الطريقة المعروفة بهم ولد وتفقه في جغبوب، وأقام بالتاج بواحة الكفرة. قاتل الإيطاليين عندما نزلوا بليبيا وسارت البلاد تحت لوائه. وعقد الصلح بين إيطاليا والعثمانيين فحمل عبء الجهاد وحده إلى أن دب الخلاف بينه وبين ابن عمه إدريس. سافر إلى استانبول وتولى تقليد السلطان محمد السادس السيف يوم ارتقائه العرش فانعم عليه برتبة وزارة.

قامت الحركة الكمالية فاستغله مصطفى كمال وهو قد خُدع به. أقام بعدها بمرسين فاتهم بالاتصال مع آل عثمان بعد زوال دولتهم وأخرج من البلاد ورفض الفرنسيون إقامته في سورية، فرحل إلى الحجاز وأكرمه الملك عبد العزيز آل سعود، توفي بالمدينة ١٣٥١ هـ.

تسلم مصطفى كمال (١) الحكم وسار بطريقته العلمانية ونهجه الإلحادي وأجبر الناس بالابتعاد عن النظام الاسلامي وسار خلفه عصمت إينونو، وبعد ثلاثين سنة من تطبيق هذا النظام ظهر أن العاطفة الاسلامية هي المسيطرة على النفوس رغم ما يظهر من هؤلاء القلة الذين يعيشون في المدن الكبرى وبخاصة في استانبول وأنقره وازمير من حياة «غربية» وكان الناس يتأثرون ويسيرون وراء سعيد بديع الزمان النورسي (٢) وأمثاله أكثر مما يخضعون لحكامهم رغم توجيه وسائل الاعلام كلها وتسخير الحكم كله والقوة المعنوية للسلطة ويظهر

---

(١) مصطفى كمال بن علي رضا ولد في سالونيك عام ١٢٩٨ هـ، وتخرج من مدرسة استانبول الحربية، اشترك في بعض المؤامرات، نفي إلى دمشق، ومنها فر إلى سالونيك والتحق بجمعية الاتحاد والترقي، كان همه السياسي ينحصر داخل تركيا لذلك كان على خلاف مع أعضاء الاتحاد البارزين فكان يكره أنور باشا كرهاً شديداً. ويرى التزام الحياد في الحرب العالمية الأولى. أرسل إلى جبهة القفقاس ثم إلى الحجاز ولكن قبل استلام مركزه خرجت الحجاز من حوزة الدولة. رُفع إلى رتبة لواء وعُيّن في ديار بكر كنائب قائد. اختير ليحفظ الأمن بعد هزيمة تركيا، وطارت شهرته بعد إخراج الأجانب، تسلم الحكم، وأسس حزب الشعب، وألغى الخلافة. كان شغوفاً بالنساء مدمناً على الخمر لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ويُسّر بالإعتداء على الآخرين، ولم يكن بدين مات عام ١٣٥٧ هـ.

(٢) سعيد النورسي، بديع الزمان، ولد بتلبيس شرقي تركيا عام ١٢٩٣ هـ، أسس مدينة الزهراء، وكان يريد أن يجعلها جامعة وكان يرى تدريس العلوم الطبيعية إلى جانب علوم الدين، اشترك في الحرب العالمية الأولى مع تلامذته وكان قائداً لهم، وعددهم (٣٠٠)، وقع أسيراً بيد الروس فنفي إلى مجاهل سيبيريا فرمن الأسر، اتهم بالاشتراك بثورة الشيخ سعيد في ديار بكر رغم أنه رفض التعاون معه، قُدّم عدة مرات إلى المحاكمة بتهمة التحريض على الحكم الكمالي. له عدة كتب ومجموعة رسائل النور التي كان يوجهها إلى تلامذته وهو في السجن، توفي عام ١٣٧٩ هـ.

هذا في لباس المرأة المحتشم والاقبال على المساجد وعلى تأدية فريضة الحج ثم في تأييد المرشحين أصحاب التصريحات الاسلامية في الانتخابات، ولعل الانتخابات الاخيرة أكبر دليل على ذلك، فالمجتمع التركي مجتمع مسلم رغم كل ما دخل عليه من مؤثرات وما شاب حياته من أباطيل.

السُّكَّان

يبلغ عدد سكان تركيا حسب تقدير عام ١٤٠٨ هـ ما يقرب من ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ نسمة، وبذا تكون الكثافة بمعدل ٦٤ شخصاً في الكيلو المتر المربع الواحد، والزيادة كبيرة إذ تصل إلى ٢,٥٪ أي أن السكان يزيدون في كل عام أكثر من ٨٠٠ ألف، وهذه الزيادة تعود إلى زيادة الولادات وهي ظاهرة عامة في العالم الإسلامي كله.

وأكثر السكان يقيمون في الريف إذ تزيد نسبتهم على ٧٠٪ بينما نسبة سكان المدن هي ٣٠٪.

المجموعات البشرية: ينتمي سكان تركيا من حيث الجنس إلى المجموعات التالية:

الترك	٤٥,٠٠٠,٠٠٠	وينتمون إلى العرق الأصفر ويسودون البلاد كافة.
الأكراد	٣,٥٠٠,٠٠٠	وهم في المنطقة الجبلية في جنوب شرقي البلاد.
العرب	٧٥٢,٠٠٠	في اسكندرون وكيليكيا وشمالي الأرض السورية.
الشركس	١٩٣,٠٠٠	في الشمال الشرقي، ومهاجرون إلى مناطق مختلفة.

اليونانيون	١٣٠,٠٠٠	في الغرب وبخاصة في ازمير.
الكرج	١٣٠,٠٠٠	في الشمال الشرقي.
الأرمن	٩٠,٠٠٠	في الشرق ومنطقة كيليكيا وجالية في استانبول.
البلغار	٦٩,٠٠٠	في الغرب.
اليهود	٤٠,٠٠٠	في استانبول وازمير.
المجموع	٤٩,٩٠٤,٠٠٠	

أي أن الأقليات رغم كثرتهم فإنهم لا يزيدون على ١٠٪ من مجموع السكان.

مسلمون	٤٩,٤٤٥,٠٠٠
نصارى	٤١٩,٠٠٠
يهود	٤٠,٠٠٠
المجموع	٤٩,٩٠٤,٠٠٠

أي أن نسبة المسلمين تساوي ٩٩٪ إذن يوحّد الإسلام بين هذه المجموعات الجنسية العديدة. وذلك لأن الأقليات الكبيرة إنما تنتمي إلى الإسلام وهي: الأكراد إضافة إلى العرب والشركس.. ومع هذه النسبة الكبيرة من المسلمين فإن الدستور لا ينص على الدين الرسمي للدولة.

اللغة:

تسود البلاد كلها اللغة التركية وهي من مجموعة اللغات

الأورالية التي نمت في سهوب تركستان بين جبال الأورال ومرتفعات آسيا الوسطى. وتكثر فيها التراكيب العربية بصورة خاصة ثم الفارسية. وقد كانت هذه اللغة تكتب بالأحرف العربية حتى عام ١٣٤٧ هـ حيث استبدلت بها الأحرف اللاتينية.

نِظَام الحُكمْ

ينص دستور ١٣٨١ هـ الذي وضع إثر الانقلاب العسكري على أن تركيا جمهورية وطنية ديمقراطية علمانية اشتراكية تقوم على مراعاة حقوق الإنسان وحكم القانون.

تتكون الجمعية الوطنية الكبرى من مجلسي النواب والشيوخ.

ينتخب أعضاء مجلس النواب لمدة أربع سنوات، وعددهم (٤٥٠) عضواً.

أما مجلس الشيوخ فيبلغ عدد أعضائه ١٨٤ عضواً.

منهم ١٥٠ عضواً منتخباً يُنتخب ثلثهم كل سنتين، أي ست سنوات مدة العضوية.

ومنهم ١٥ يعينهم رئيس الجمهورية.

١٩ أعضاء لجنة الوحدة الوطنية.

أما رئيس الجمهورية فينتخب لمدة ٧ سنوات في جلسة مشتركة للجمعية الوطنية الكبرى (مجلس النواب والشيوخ) ويجب أن يكون من ضمن أعضاء مجلس الشيوخ كما يجب أن يستقيل من حزبه مجرد انتخابه. وينص الدستور على أن يفوز المرشح برئاسة الجمهورية بثلثي

الأصوات في دورتي الانتخاب الأولى والثانية، وبالأكثرية المطلقة في الدورات التالية (النصف + واحد) أي ٣١٨ صوتاً.

وتقسم تركيا إدارياً إلى ٦٧ ولاية يحكم كلا منها والٍ، يعين من قبل الحكومة، ويُعدّ مسؤولاً أمام وزير الداخلية. ولكل ولاية مجلس ينتخبه سكانها انتخاباً مباشراً، ويختلف عدد أعضائه حسب عدد سكان الولاية وتنقسم كل ولاية إلى عدد من المراكز يختلف حسب مساحتها.

الأحزاب السياسية

١ ــ حزب الشعب الجمهوري: وشعاره ستة أسهم تعني (وطنيون ــ جمهوريون ــ علمانيون ــ ثوريون ــ تقدميون ــ شعبيون). ويرأسه بولاند اجاويد. وقد أسس هذا الحزب مصطفى كمال وترأسه، ثم خلفه عصمت اينونو الذي توفي ١٣٩٣ هـ.

٢ ــ حزب السلامة الوطني: وشعاره سبابة متجهة إلى الأعلى ومعناها (الله واحد). ويرأسه نجم الدين اربكان. وقد تأسس عام ١٣٩٢ هـ.

٣ ــ حزب العدالة: وشعاره الحصان الأبيض. ويرأسه سليمان ديميريل. ومن أعضائه تاكين أريبون، وقد تأسس هذا الحزب إثر الانقلاب العسكري عام ١٣٨٠ هـ.

٤ ــ الحزب الديمقراطي: وشعاره كف ممدودة إشارة إلى أن كل الكلام للشعب. وترأسه قيادة جماعية مؤلفة من:

١ً ــ فروح بوزبايلي، وقد انشق على حزب العدالة.

٢ً ــ سعد الدين بيلجق وزير المواصلات السابق في حكومة ديميريل وكان من حزب العدالة أيضاً.

٣ً ــ يوكيت مندريس نجل عدنان مندريس. وتأسس هذا الحزب ١٣٦٥ هـ.

٤ً ــ فاروق سكان وزير الداخلية سابقاً وكان من حزب العدالة أيضاً.

٥ً ــ محمد تورغوت وزير الصناعة سابقاً وكان من حزب العدالة أيضاً.

إلا أنهم عادوا فانسحبوا من الحزب الديمقراطي الذي بقي يرأسه فروخ بوزبايلي. وأصبحوا مستقلين.

فهو ثاني حزب في تركيا، وتسلم الحكم أيام جلال بايار وكان رئيسه يومذاك عدنان مندريس.

٥ ــ **حزب الثقة:** ويرأسه ترهان فوزي اوغلو.

٦ ــ **حزب العمل القومي:** وشعاره ثلاثة هلالات ورئيسه البسلان توركيش.

٧ ــ **حزب الوحدة التركي:** وشعاره الأسد محاطاً بالنجوم ورئيسه مصطفى تميسي.

٨ ــ **الحزب الاشتراكي العمالي:** وقد تأسس حديثاً ورئيسه الدكتور (أويابيدر) وهو استاذ اجتماع مساعد في جامعة استانبول.

هذه الاحزاب المرخص لها بالعمل بينما توجد أحزاب غير شرعية وهي:

١ ــ **حزب العمل التركي:** وهو ذو ميول شيوعية يدعو إلى الاصلاح الزراعي، وانسحاب تركيا من الاحلاف السياسية والعسكرية. واعطاء الاكراد والأرمن حقوقهم القومية. ويرأس هذا الحزب السيدة بهيجة بوران، وكان لهذا الحزب ١٥ مقعداً في المجلس النيابي حتى عام ١٣٩١ هـ عندما علق الدستور وفرضت الأحكام العرفية فسحب ترخيص الحزب، وصودرت أملاكه وممتلكاته، وقدم أعضاء المكتب السياسي للحزب إلى محكمة عسكرية خاصة فسجن جميع أعضاء المكتب بما فيهم الرئيس بوران.

٢ ــ **حزب الشباب الاصلاحي:** الذي يعرف بجناحه العسكري باسم جيس التحرير الشعبي التركي، وهو القوة التي قادت المظاهرات ضد الاسطول الاميركي عام ١٣٨٨ هـ، وأحرقت مبنى السفارة الاميركية في انقرة مرتين.

٣ **الحزب الشيوعي:** وله خلاياه السرية، وقد تأسس عام ١٣٤٤ هـ ويرأسه ي دمير ومركز الحزب شرقي أوربا.

الأرض

تتطاول في أواسط آسيا قطعة من الأرض نحو الغرب بين البحرين الأسود والأبيض على شكل شبه جزيرة تعرف باسم آسيا الصغرى كأنها تريد اللحاق بأوربا حتى لتقتطع تركيا جزءاً من أوربا تضمه إليها، ولا يفصل بين القسمين سوى أجزاء ضيقة من المياه هي مضيق البوسفور، وبحر مرمرة، ومضيق الدردنيل، وان كان القسم الآسيوي هو الذي يعرف باسم تركيا بينما يطلق على الجزء الأوربي الصغير اسم تراقيا.

وتبلغ مساحة القسم الآسيوي

٧٥٦,٩٥٣ كم^{٢} = ٢٩١,٠٠٠ ميل مربع

بينما تبلغ مساحة الجزء الأوربي

٠٢٣,٦٢٣ كم^{٢} = ٠٠٩,٠٠٠ ميل مربع

وبذا تبلغ مساحة البلاد عامة

٧٨٠,٥٧٦ كم^{٢} = ٣٠٠,٠٠٠ ميل مربع

يتألف القسم الآسيوي من هضبة تعرف باسم هضبة الأناضول يصل معدل ارتفاعها إلى ١٠٠٠ م تحيط بها سلاسل جبلية مرتفعة، ففي الشمال تمتد مجموعة من السلاسل المتوازية تساير سواحل البحر الأسود تعرف باسم جبال البونت، وهي قليلة الارتفاع في الغرب ويزداد علوها في الشرق، إذ بينما أقصى ارتفاع يبلغ شمال غرب انقرة ٢٣٧٨ م يصل الارتفاع في الشرق جنوب شرقي (ريز) إلى ٣٩١٠ م.

وتميل هذه الجبال ميلاً شديداً نحو البحر الأسود. ومن الجنوب تمتد جبال طوروس التي ترتفع كجدار عال يمتد أميالاً قليلة وراء ساحل البحر الأبيض المتوسط، وعند انتهاء ساحل البحر تأخذ جبال طوروس اتجاهاً شمالياً شرقياً ويبلغ أقصى علوٍ لها ٣٩١٦ م جنوب مدينة قيصرية. وتلتقي مع الجبال الشرقية لتشكل منطقة مرتفعة تشغل شرقي البلاد عامة، كما ترتفع في هذه المنطقة أعلى الذرا وهي جبال آرارات إذ يصل ارتفاعها إلى ٥١٦٥ م عند الحدود التركية ــ الإيرانية ــ الأرمنية. وهذه المنطقة جزء مما يعرف باسم هضبة أرمينية. أما في الغرب فتمتد مجموعة من الجبال من الغرب إلى الشرق تعرف باسم المرتفعات الإيجية نسبة إلى بحر ايجه ويصل أقصى ارتفاع لها إلى ٢٣١٢ م جنوب مدينة كوتاهية، وإن امتداد الجبال من الغرب إلى الشرق يحدد سير المياه وخطوط المواصلات.

وتكثر في هضبة الأناضول المناطق الواسعة والسهول التي تقطعها تلال مستديرة وطويلة، كما تكثر في البلاد كلها التضاريس غير المنتظمة إذ ليس غريباً أن تكون صاعداً إلى جبل فإذا سهل يمتد أمامك، وهذا ما أدّى إلى وجود عددٍ كبيرٍ من البحيرات بعضها مالح والآخر عذب، وأهم هذه البحيراتٌ بحيرة (وان) في الشرق والتي ترتفع ١٧٢٠ م عن سطح البحر وتزيد مساحتها على ٢٨١٦ كم^{2}، وبحيرة الملح (طوز) جنوبي مدينة أنقرة وتقع على ارتفاع ٨٩٩ م. ثم مجموعة من البحيرات غربي مدينة قونية أهمها بحيرة (بيشهر) وتقع على ارتفاع ١١١٦ م، وبحيرة (اجريدير) و(هويران) وترتفع ٩٢٤ م، وبحيرة (بوردور) وتقع على ارتفاع ٨٤٥ م.

وأما تراقيا فتتألف من منطقة قليلة الارتفاع وسهلية يجري فيها نهر (أرجين) وروافده المنحدرة من الشمال والجنوب، وهو بدوره يصب في نهر (ماريتزا) قبل أن يصب في بحر ايجه، ونهر (ماريتزا) يأتي من بلغاريا ثم يشكل الحدود بين تركيا واليونان، وفي شمال تراقيا تمتد سلسلة (استرانكا) بشكلٍ موازٍ لساحل البحر الأسود، وهي وإن كانت تظهر في الشمال على شكل جبال إلا أنها تنعدم في الشرق. وفي الجنوب تمتد جبال (توكير) التي يصل ارتفاعها إلى ٦٣٩ م غرب جزيرة (مرمرة) وهذه الجبال هي أساس شبه جزيرة (غاليبولي).

المناخ:

تمتد تركيا بين خطي عرض ٣٦-٤٢ شمالاً فهي في قسمها الجنوبي تقع ضمن مناخ البحر الأبيض المتوسط بينما في قسمها الشمالي تقع ضمن المناخ القاري، كما ويلعب البحر الأسود دوره في المناخ.

ويمكن ملاحظة عدة أقاليم طبيعية في تركيا وهي:

١ً ـ منطقة البحر الأبيض المتوسط وتشمل سواحل بحري المتوسط وايجه، وتمتاز بالشتاء الدافىء الممطر والصيف الحار الجاف، وتنتج هذه المناطق الحبوب والزيتون والحمضيات، والعنب والقطن والتبغ، وتمتاز المرتفعات بالامطار الربيعية.

٢ً ـ منطقة البحر الأسود وتمتاز بالاعتدال أيضاً وإن كانت أكثر أمطاراً، كما أن بعض هذه الأمطار يهطل في فصل الصيف وبهذا تكون أكبر منطقة مطرية في تركيا. إذ تصل إلى ١٧٥٠ مم. ويعدّ

التبغ أهم المنتجات في هذا الجزء من البلاد.

٣ً ــ هضبة الاناضول ومناخها قاري إذ تنخفض درجة الحرارة في الشتاء إلى ٩ْ دون الصفر، وتصل في الصيف إلى ٣٨ْم وفي الوقت نفسه فإن الأمطار فيها قليلة تتراوح بين ٢٠٠-٤٠٠ مم.

٤ً ــ الهضبة الشرقية وهي شديدة البرد بسبب الارتفاع، وتتساقط عليها الثلوج وبخاصة في الشتاء والربيع. وبشكل عام فإن البرد يشتد في تركيا لأن المرتفعات تشغل القسم الأعظم منها وتتراكم الثلوج مدة ١٣٠ يوماً في السنة.

وينشأ عن ذوبان الثلوج المتراكمة على الجبال التركية كثير من الينابيع والأنهار، كما أن المجاري المائية تفيض في فصل الربيع ومطلع الصيف بسبب ذلك الذوبان، ولما كانت المجاري هذه جبلية فإنها تشكل كثيراً من الأخطار وبخاصة عندما تنفتح السهول أمامها أو عندما تقوم القرى في الأودية. وأهم هذه الأنهار:

١ ــ في المنطقة المتوسطية: (سيحان) و (جيحان) في منطقة (كيليكيا) ويمر الأول منهما في مدينة (أضنة). ونهر (مندريس) في الغرب ويمر من شمالي مدينة (ايدين)، ويصب جنوب (ازمير)، ونهر (جيديز) ويصب شمالي (ازمير)، والأنهار المتوسطية بشكل عام قصيرة جبلية يشح ماؤها في آخر فصل الصيف، ويفيض في الربيع.

٢ ــ أنهار البحر الأسود وأهمها: يشيل ارماق (النهر الأزرق) وينبع من غرب أرضروم ويصب في البحر الأسود شرق مدينة

(صامسون). وقيزيل ارماق (النهر الأحمر) وينبع من شرقي (سيواس) على بعد ١٠٠ كم منها ثم يجتازها، يرسم قوساً كبيراً يمر من شرقي أنقرة، ويصب في البحر الأسود غرب مدينة (صامسون) وهو أهم وأطول أنهار تركيا. ونهر (سقاريا) ويتألف من عدة أنهار تجري غربي أنقرة ثم يتجه نحو الشمال ليصب في البحر الأسود.

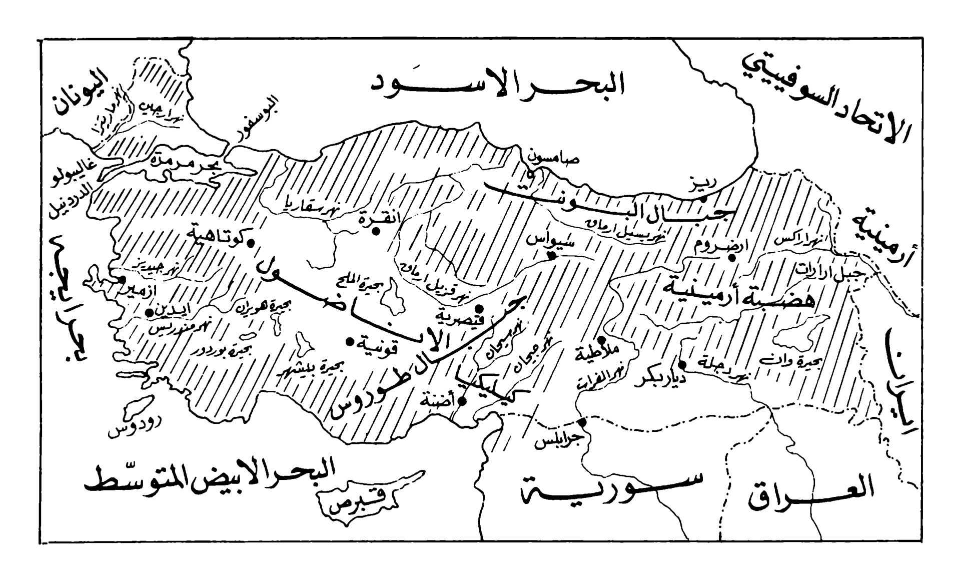
٣ ــ مياه هضبة الأناضول: وتوجد عدة مجاري مائية صغيرة تصب في البحيرات أو تغيض في الرمال، فهي إذاً ذات تصريف داخلي.

٤ ــ انهار هضبة أرمينية: وهي:

١ ــ نهر الفرات: وينبع من أرضروم ويعرف باسم قره صو (النهر الأسود) ويكون ذا مجرى جبلي يتجه نحو الغرب ثم نحو الجنوب على شكل أقواس ماراً شرق (ملاطية) حيث يكون قد رفده نهر مراد صو وينفتح مجراه بعدها، ثم يخرج من الأرض التركية إلى سورية عند مدينة (جرابلس) السورية.

٢ ــ نهر دجلة: وينبع من شمالي دياربكر، ويمر فيها، ثم يشكل الحدود العراقية ــ السورية مسافة ٥٠ كم.

وهناك أنهار تتجه نحو الشرق أشهرها نهر (أراس) رافد نهر (أراكس) الذي يشكل الحدود التركية ــ الأرمنية، ثم الايرانية الأرمنية، ثم الايرانية الاذربيجانية.



الإتحاد السوفييتي
البحر الاسود
اليونان
أرمينية
ايران
البوسفور
بحر مرمرة
غاليبولو
الدردنيل
صامسون
ريز
جبال البونت
نهر سقاريا
انقرة
كوتاهية
نهر يسيل ارماق
سيواس
ارضروم
نهر اراكس
جبل ارارات
هضبة أرمينية
ازمير
ايدين
نهر مندريس
بحيرة الملح
نهر قزيل ارماق
قيصرية
الاناضول
قونية
جبال طوروس
بحيرة بوردور
بحيرة بيلشهر
ملاطية
نهر الفرات
نهر دجلة
ديار بكر
بحيرة وان
أضنة
رودوس
جرابلس
البحر الابيض المتوسّط
قبرص
سورية
العراق

الحياة الاقتصادية

لا يزال دخل الفرد في تركيا ضعيفاً رغم غنى البلاد. ولا تزال الزراعة تحتل المرتبة الأولى في دخل الدولة رغم التقدم الصناعي الذي شهدته البلاد في الآونة الأخيرة، وقد كان دخل تركيا عام ١٣٨٣ هـ كما يلي:

من الزراعة ٤٠٪

من الصناعة ٢٥٪

من الخدمات العامة ٣٥٪

ولا يزال يحافظ على النسبة نفسها تقريباً، وإن كان قد تحسّن دخل الفرد.

الزراعة:

تشغل الزراعة ثلث مساحة تركيا، وتمتاز بانتشار الملكية الصغيرة واعتمادها على المطر إذ أن المساحة المروية تزيد قليلاً على ٦٪ من مساحة الأرض الصالحة للزراعة، وما تبقى فإنما يزرع بعلاً.

ومن المشكلات الأساسية التي تعانيها الزراعة تعرية التربة، والجفاف الذي تتعرّض له البلاد بين آونةٍ وأخرى. وأهم الزراعات هي:

١ ً ــ الحبوب: وتشتهر تركيا بزراعة مختلف أنواع الحبوب وبخاصة

في الأناضول والمناطق المتوسطية إضافة إلى بقية المناطق الأخرى إذ تكاد لا تخلو بقعة من زراعة الحبوب، وأهم أنواعها هي:

القمح: وهو الغذاء الرئيسي للسكان، وكانت تركيا في قائمة الدول المصدرة للقمح بين ١٣٧٢-١٣٧٤ هـ إلا أنها الآن تستورد بمعدل ٥٠٠,٠٠٠ طن كل عام. ويبلغ الانتاج السنوي ٨,٣٠٠,٠٠٠ طن. وتنتج من أنواع الحبوب الأخرى الكميات التالية:

الشعير ٣,٢٠٠,٠٠٠ طن.
الذرة ١,٠٠٠,٠٠٠ طن.
الرز ٠,١٠٠,٠٠٠ طن.

٢ً ـ القطن: ويزرع في غرب الأناضول ومنطقة أضنة، وقد أصبح من الصادرات الرئيسية للبلاد حتى إنه قد فاق التبغ منذ عام ١٣٧١ هـ، والتبغ عادة يحتلّ المرتبة الأولى بين صادرات تركيا. ويبلغ الإنتاج التركي من القطن ٢٧٠,٠٠٠ طن يصدر منها ١٢٠,٠٠٠ طن.

٣ً ـ التبغ: ويزرع على السفوح الساحلية وبخاصة سواحل البحر الأسود حتى إن كثيراً من أنواعه ما يحمل اسماء مدن تلك الجهات مثل (بيافرا) و (صامسون) وغيرها. ويبلغ الإنتاج ١٧٥,٠٠٠ طن.

٤ً ـ الفاكهة: وتزرع في أجزاء تركيا كلها وبخاصة على سواحل بحر ايجه حيث يزرع العنب، والتين، والزيتون، ويبلغ انتاج العنب ٦٥,٠٠٠ طن.

٥ً ـ البندق: ويزرع على سواحل البحر الأسود حيث هناك أكبر بقعة في العالم لزراعة هذا النوع من الثمار، ويبلغ الانتاج السنوي من البندق ١٩٥,٠٠٠ طن.

٦ً ـ الشاي: وتزرع على الجانب الشرقي من شاطىء البحر الأسود.

٧ً ـ الشوندر السكري وتنتج ٤,٦٧٨,٠٠٠ طن.

كما يوجد الكتان وأصناف أخرى من الزراعات.

تربية الماشية:

تكثر الحيوانات في تركيا بسبب كثرة الأراضي البور، والتي تبقى دون زراعة بعد حصاد الحبوب وتصدر تركيا كثيراً من هذه الحيوانات وأشهرها:

الاغنام ويقدر عددها بـ ٣٣,٣٠٠,٠٠٠ رأس.
الماعز العادي ويقدر عددها بـ ١٦,٠٠٠,٠٠٠ رأس.
ماعز انجورا ويقدر عددها بـ ٦,٠٠٠,٠٠٠ رأس.
الأبقار ويقدر عددها بـ ١٣,٢١١,٠٠٠ رأس.

كما وتصدر الصوف المشهور بالموهر الغالي الثمن.

الأسماك:

يقدر ما يصطاد من شواطىء تركيا من أسماك بـ ١١٥,٠٠٠ طن كل عام.

الغابة:

هي ملك الدولة وتشغل ١٣-١٦٪ من مساحة البلاد، ويقدر ما يُؤخذ منها من أخشاب بـ ٦,٥ مليون متر مكعب.

الثروة المعدنية:

تركيا غنية بثروتها المعدنية، وأهم المعادن المستخرجة إلى الآن:

١ً ــ الكروم: وقد اكتشف هذا المعدن عام ١٢٦٤ هـ، ونسبة المعدن في الفلز أكبر نسبة بين خامات الكروم في العالم وهي ٥١,٧٪، ويدخل الكروم في الصناعة الحديدية، ولكن لا يستعمل محلياً إلا بشكل قليل وإنما يصدر إلى البلدان الأجنبية، ويُعدّ أكبر مصدر للحصول على العملة الصعبة، وتنتج تركيا ما يقرب من ١/٥ الانتاج العالمي. وقد بلغ هذا الانتاج:

عام ١٣٧٧ هـ ٩٤٥,٩٦٠ طن.
عام ١٣٨٤ هـ ٤١١,٠٠٠ طن.
عام ١٣٨٨ هـ ٦١٤,٠٠٠ طن.
عام ١٤٠٧ هـ ٧١٢,٠٠٠ طن.

أي أن الانتاج قد هبط هبوطاً مفاجئاً ثم عاد إلى الارتفاع تدريجياً.

٢ً ــ الحديد: وقد عرف الحديد في تركيا منذ أيام الحثيين، ويقدّر الاحتياطي بـ ٢٥ مليوناً من الأطنان وتبلغ نسبة الحديد في الفلز بين ٦٠-٦٦٪ وهي نسبة عالية. ويزداد الانتاج سنوياً إذ بلغ عام:

١٣٨٤ هـ ٨٧٦,٠٠٠ طن.
١٣٨٨ هـ ١,٤٨٥,٠٠٠ طن.
١٤٠٧ هـ ١,٢٠٠,٠٠٠ طن.

وأهم مناطق إنتاج الحديد (ديفرجي) في شرقي الأناضول حيث ينقل إلى مدينة (كارابوك) مسافة ٦٠٠ ميل لوجود الفحم هناك:

٣ً ــ النحاس: وتعطي ٢٥,٠٠٠ طن من الانتاج.

٤ً ــ المنغنيز: وتنتج ٢٣,٠٠٠ طن سنوياً.

مصادر الطاقة:

أهم ما تقدّمه تركيا من مصادر الطاقة.

١ ــ الفحم: وأكثر مناطق الانتاج، مناجم (زونغلداك) على ساحل البحر الأسود، وهو من نوع البيتومين ويعطي نوعاً جيداً من فحم الكوك الذي يستعمل في صناعة الحديد. وقد بلغ الانتاج كما يلي:

عام ١٣٨٤ هـ ٧,١٤١,٠٠٠ طن.
عام ١٣٨٨ هـ ٧,٤٥٧,٠٠٠ طن.
عام ١٤٠٧ هـ ٧,١٣٠,٠٠٠ طن.

كما تنتج كمياتٌ من فحم الليغنيت وهذا النوع من الفحم تبلغ نسبة الماء فيه ٤٠-٤٥٪ مما يجعله غير صالح لانتاج فحم الكوك، وانما يستعمل للوقود ولتوليد الكهرباء كما يدخل في بعض أنواع الصناعات وقد بلغ الانتاج كما يلي:

١٣٨٤ هـ ٥,٧٦٩,٠٠٠ طن.
١٣٨٨ هـ ٦,٤٥١,٠٠٠ طن.
١٤٠٧ هـ ٥,١٠٠,٠٠٠ طن.

٢ ــ النفط: وتقع مكامنه جنوب شرقي تركيا، ويستخرج من حقلي (جارزان) و (رامان) شرقي دياربكر، وينقل البترول بأنابيب من باتمان شرقي دياربكر إلى ميناء اسكندرون على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وقد بلغ الانتاج السنوي.

١٣٨٤ هـ ٢,٣٢٠,٠٠٠ طن.
١٣٨٨ هـ ٢,٧٢٨,٠٠٠ طن.
١٤٠٧ هـ ٢,٩٠٠,٠٠٠ طن.

وهذا الانتاج يسد ٤٠٪ من حاجة البلاد.

ويوجد معمل لتكرير النفط في (مرسين) على ساحل البحر الأبيض المتوسط وتقدر طاقته السنوية ٣,٢٠٠,٠٠٠ طن، كما يوجد معمل آخر في (باتمان) وتقدر الطاقة سنوياً بـ ١,٠٠٠,٠٠٠ طن.

الصناعة:

بدأت الصناعة تنشط منذ عام ١٣٧٠ هـ وبخاصة صناعة النسيج، والاسمنت، والسكر، والحديد، والفحم، والمنطقة الصناعية الأولى تقوم حول مدينة استانبول والآن تنتشر على طول ساحل بحر مرمرة الآسيوي بين استانبول وعصمت.

وهناك معمل لتجميع السيارات.

وتوجد مصانع الحديد الصلب في (كارابوك) جنوب شرقي (زونغلداك) و(ديفرجي) في شرقي الأناضول، وقد وصل إنتاج الحديد الصلب إلى ٣٥٠,٠٠٠ طن.

كما يوجد في (كارابوك) مصانع حمض الكبريت والسوبرفوسفات.

وتنتج تركيا من النسيج ما يسد ٨٠٪ من حاجة البلاد.

وتملك الحكومة ٦٠٪ من صناعة القطن.

و٥٠٪ من صناعة الصوف.

و ١٠٠٪ من صناعة الورق، والسكر، والتبغ، والكبريت، والملح.

كما أنها تحتكر استيراد الشاي والبن وتوزيعهما.

التجارة:

لا تؤلف التجارة الخارجية أكثر من ٧٪ من دخل تركيا.

وأهم الصادرات هي: القطن، التبغ، المعادن، الحيوانات، الفواكه المجففة، والحبوب الزيتية.

وأهم الواردات هي: الآلات والأجهزة، النفط، أدوية وأصبغة ومن المعلوم أن في الآونة الأخيرة بدأت تستورد القمح. وبشكل عام فالميزان التجاري خاسر.

المواصلات:

تملك الدولة وتدير الخطوط الحديدية كافة والتي يبلغ طولها ٨,٠٠٠ كم.

وأهم الموانىء استانبول وعن طريقها يتم ٧٠٪ من التجارة الخارجية.

وأزمير: وعن طريقها تصدر الغلاَّت الزراعية.

واستانبول: وهي ميناء النفط.

ثم هناك موانىء صامسون، وطرابزون، ومرسين، وازميت، وزونغلداك، وبانديرما.

وهناك مطاران دَوْليَّانِ في استانبول وأنقرة.

الاتحاد السوفييتي
البحر الأسود
أدرنة
استانبول
زونغلداك
كارابوك
صامسون
طرابزون
بانديرما
أزميت
بورصة
أسكيشهر
كوتاهية
انقرة
أزمير
أفيون
سيواس
أرضروم
بحر ايجه
قيصرية
قونية
ملاطية
أنطالية
كرمان
أضنة
دياربكر
مرعش
مرسين
اسكندرون
حلب
البحر الأبيض المتوسّط
قبرص
سورية
العراق

مُشكِلاتُ تُرْكيّا

تواجه تركيا عدة مشكلات في وضعها الحالي بعضها فكرية بسبب تغيير الأبجدية والانقطاع عن الأدب والتاريخ، وبعضها إسلامية بسبب المدة الطويلة التي حكم فيها العلمانيون البلاد واتخذوا الوسائل الثقافية والاعلامية في سبيل البعد بتركيا عن ماضيها الاسلامي والسير فيها نحو طريق علماني مما جعل التيارات الإلحادية تأخذ طريقها نحو النجاح، أو ينشأ على الأقل جيل اللامبالاة بعقيدته وفكرته، ومهمته الأولى تأمين جوانب المال والجنس والهوى، وهذا ما جعل أزمات سياسية متوالية تتعرض لها البلاد، وفي الوقت نفسه فإن هذا الاتجاه قد بدد الأموال، وتعاني تركيا الآن أزمة اقتصادية يجعل أبناءها يعيشون في ضائقة اقتصادية وبالتالي تضطر الدولة إلى قبول المساعدة وارتباطها بغيرها، ولكن الأزمة السياسية التي تواجهها الآن إنما هي قبرص.

المشكلة القبرصية:

قبرص أكبر جزر شرقي البحر الأبيض المتوسط، وأقربها إلى ساحله الشرقي، تبعد عن ساحل تركيا الجنوبي ٦٠ كم، وعن الساحل الشامي مسافة ٩٠ كم، وعن الساحل المصري ٤٠٠ كم،

بينما تبعد عن سواحل بلاد اليونان مسافة ٩٠٠ كم، وهي ذات شكل متطاول يبلغ طولها ٢٣٥ كم وعرضها ٩٠ كم وتبلغ مساحتها ٩٢٥١ كم٢ أي تقرب مساحتها مساحة لبنان.

توالى على حكم الجزيرة عدد من الحكام، وخضعت لكثير من الغزاة كان آخرهم الرومان عام ٥٨ ق.م، ثم انتقل حكمها إلى البيزنطيين عام ٣٥٩ م، وانتشرت فيها النصرانية عام ٤٨ م على يد القديس بولس.

فتح المسلمون قبرص عام ٢٨ هـ، وسكن فيها اثني عشر ألفاً من الجنود المسلمين، وهاجر إليها أهالي بعلبك فنشروا فيها الاسلام وبنوا المساجد.

أصبحت قبرص منطقة إسلامية إلى أن جاءت الحروب الصليبية فاستولى ريتشارد قلب الأسد ملك انكلترا على قبرص عام ٥٨٧ هـ وهو في طريقه إلى الشام، وبعد إخراج الصليبيين من الشام تجمعت في قبرص القوى الصليبية الباقية في المشرق كافة واتخذتها مقراً لها.

ثم جاء البنادقة إلى قبرص، وأخيراً عاد إليها العثمانيون عام ٩٧٩ هـ، وعادت جزءاً من ديار الاسلام وغدا أكثر سكانها من المسلمين فقد كان تعداد سكان الجزيرة عام ١٢٠٥ هـ كما يلي:

٦٠,٠٠٠ مسلم.
٢٠,٠٠٠ نصراني.

وضعفت الدولة العثمانية وتكالب عليها الأعداء، واستطاعت انكلترا أن تقتطع قبرص بعد مناورات واتفاقات سرية وذلك عام

١٢٩٦ هـ وإن بقيت تتبع اسمياً الدولة العثمانية وكان عدد سكان الجزيرة بعد دخول انكلترا الجزيرة باثني عشر عاماً كما يلي:

٦٠,٠٠٠ من الاتراك.
٢٠,٠٠٠ من اليونانيين.

شجعت انكلترا هجرة اليونانيين إليها، وفي الوقت نفسه ضيقت على الأتراك في سبيل التخلي عنها والهجرة منها، واستمر الوضع كذلك حتى الحرب العالمية الأولى ١٣٣٣ هـ.

عرضت انكلترا على اليونان ضمّ قبرص إليها مقابل دخولها مع الحلفاء ضد المانيا، وذلك بعد أن أنهت انكلترا الحاق قبرص الاسمي بتركيا وضمها مباشرة إلى ممتلكات التاج البريطاني، وكان اليونانيون قد استقبلوا دخول الانكليز إلى الجزيرة باحتفالات رائعة للرابطة الدينية بين الطرفين. وبغية ضم الجزيرة إلى اليونان كانت قد تشكلت حركة (انيوسيس) وتعني الاتحاد مع اليونان، وهي التي تمثل اليونانيين تقريباً وعلى رأسهم الأساقفة الذين هم في قبرص جميعاً، ثم تشكلت منظمة (أيوكا) وتضم المتطرفين من اليونانيين. ونتيجة حكم بريطانية للجزيرة وتطبيق سياستها الرامية إلى توجيه الجزيرة نحو اليونان أصبح سكان الجزيرة عام ١٣٨٠ هـ كما يلي:

١٠٤,١٨٣ من الأتراك.
٤٨٤,٠٤٣ من اليونانيين.

٥٥٢,٢٢٦ المجموع

وليس من المعقول أن تكون هذه الزيادة قد تمت إلا عن طريق الهجرة إذ أن نسبة المواليد هي أكبر بين الأتراك والزيادة بالتالي أكثر، وبينما لم يتضاعف عدد السكان الاتراك على حين زاد اليونانيون بنسبة ٢٥٠٠٪ وهذا غير معقول إلا عن طريق دخول اليونانيين إلى الجزيرة أفواجاً بمساعدة الانكليز ولأغراض خاصة معروفة.

إن الأتراك يخشون على أنفسهم من الانضمام إلى اليونان لأن ذلك ذهاب بكيانهم وأن مصيرهم سيكون مصير ٨٩ ألف تركي مسلم كانوا في جزيرة كريت عندما انضمت إلى اليونان بعد أن أخرج منها العثمانيون عام ١٣١٦ هـ حيث أجبر قسم كبير منهم على الهجرة وترك الوطن والأملاك أمام السيف المصلت، واختفى الباقون. ويرى المسلمون الأتراك أن الغاية هي القضاء على المسلمين في جزر البحر الأبيض المتوسط والمنع من ان تكون لهم أية قاعدة فيه، ولم يبق لهم فعلاً أي مركز سوى قبرص أو بالواقع بعض أجزاء منها، وان الزيادة اليونانية في الجزيرة ما هي إلا زيادة مصطنعة.

ويرى اليونانيون أن الجزيرة يجب أن تتبع اليونان لأن أكثرية سكان الجزيرة يطالبون بذلك حيث يشكلون الأغلبية ويجب أن يكون لهم الحق في تقرير المصير ويتخذون من منظمة (ايوكا) والمتطرفين اليونانيين والحرس الوطني دعماً لهم وسنداً لتنفيذ آرائهم.

وترى انكلترا ـ صاحبة العلاقة سابقاً ـ أن الجزيرة يجب ألا تكون لليونان ولا تكون لتركيا التي يجب إبعادها عنها وإنما من الضروري بقاءها هي في قبرص حرصاً على عدم الاختلاف بين

الدولتين ــ تركيا واليونان ــ اللتين هما من دول الحلف الأطلسي، وإذا كان من الصعب بقاءها تحت يدها فيجب اعطاءها الاستقلال الذاتي مع ايجاد حكومة ترى رأي انكلترا للمحافظة على قواعدها في الجزيرة ومصالحها فيها. وترى بقية الدول الغربية رأي انكلترا وإن كانت شعوبها تقف بجانب اليونان للرابطة الدينيـة ولكن الحكومات تخشى هذا الجانب لأن ذلك قد يؤدي إلى حرب دينية تمتد نتائجها إلى خارج المنطقة وتكون في غير صالح الغرب عامة.

وترى الدول الشرقية بقاء العنف واستمرار الفوضى لمد النفوذ الشيوعي إلى الجزيرة لأن من المعلوم أن الشيوعية لا تنمو إلا في جوٍ يسوده القلق والاضطراب وتكثر فيه الفوضى والقلاقل، ويشمل على أعمال التخريب والقتل وعند ذلك يصل الدعم السري الشيوعي وتوزع الأموال وترفع رجال بالدعاية ويمكن أخيراً أن يتغير الوضع لمصلحتها.

أما الدول العربية والإسلامية فلم يكن لها رأي في هذا الموضوع رغم مساسه المباشر بها.

وأخيراً تنازلت تركيا، ورأت بقاء الجزيرة مستقلة ذات حكم ذاتي بشكل يضمن بقاء الجالية التركية وحريتها حيث يمكن التعايش بين الأتراك واليونانيين دون تدخل خارجي، وإلا فهي تقترح التقسيم بين الأتراك واليونانيين إذا كان اليونانيون يصرون على إلحاقها باليونان.

وبعد مناورات انكليزية وإظهار المطران مكاريوس تم الاتفاق

عام ١٣٧٩ هـ على أن تكون قبرص جمهورية مستقلة رئيسها من الجالية اليونانية ونائبه من الأتراك، وللاثنين فقط حق الرفض لأي قانون.

ويتكون مجلس الوزراء من عشرة أعضاء سبعة منهم من اليونانيين وثلاثة من الأتراك ويجب أن يعهد إلى وزير تركي بإحدى وزارات الدفاع أو المالية أو الخارجية.

ويتكون مجلس النواب بنسبة ٧٠٪ من اليونانيين و ٣٠٪ من الأتراك.

ويتألف الجيش من ٢٠,٠٠٠ جندي ٦٠٪ من اليونانيين و ٤٠٪ من الأتراك.

أما قوات الأمن فيجب أن يكون تعدادها ألفين ٧٠٪ من اليونانيين و ٣٠٪ من الأتراك.

ويقوم تحالف عسكري بين تركيا وقبرص واليونان، كما وتستبعد فكرة اتحاد قبرص مع أية دول أخرى كلياً أو جزئياً، كما وتستبعد فكرة تقسيمها.

واحتفظت انكلترا بقاعدتين عسكريتين في جنوب الجزيرة، كما استمرت باستعمال المواقع الحربية القائمة في الجزيرة والطرق والموانىء، كما تستمر قبرص في تقديم التسهيلات لبريطانيا في ميناء (فاماغوستا) والطيران فوق قبرص دون قيد، واستعمال مطار (نيقوسيا) زمن السلم والحرب. وتقرر أن تكون مساحة القاعدتين البريطانيتين ٩٩ ميلاً

مربعاً، وأن تمنح بريطانيا قبرص عوناً مالياً قدره ١٢ مليون جنيه مدة خمس سنوات.

وتم الاستقلال وكان إحصاء السكان في ذلك الوقت وهو ١٣٨٠ هـ كما يلي:

٤٤٨,٠٤٣	من اليونانيين ويشكلون ٧٨٪.
١٠٤,١٨٣	من الأتراك ويشكلون ١٩٪.
٠٠٢,٦٢٨	من الأرمن.
٠٠٢,٧٠٨	من اللبنانيين.
٠٢٣,١١٣	جنسيات مختلفة ويشكلون ٣٪ أغلبهم من اليهود.
٥٨٠,٦٧٥	المجموع ١٠٠٪.

أما حسب الأديان فكان الاحصاء على الشكل التالي:

٧٩٪	نصارى ارثوذكس وقليل من الموارنة.
١٩,١٪	مسلمون.
١,٩ ٪	يهود.
١٠٠٪	

وهكذا قامت الدولة القبرصية على أساس ديني فعلاً وديمقراطي شكلاً، وبدأت هذه الدولة بمساندة اليونان.

عادت الاضطرابات إلى الجزيرة بعد ثلاث سنوات من الاستقلال وذلك لأن الجنرال غريفاس زعيم المتطرفين اليونانيين أصبح رئيس الحرس الوطني أصبح يتصرف بالأمن كما يشاء، مما حدا بالأتراك أن

يتصلبوا في موقفهم، وينكفئوا على أنفسهم، فحدث الصدام بين الطرفين، وتدخلت الأمم المتحدة وأرسلت قوات إلى الجزيرة.

تجددت الأحداث عام ١٣٨٧ هـ إذ هاجمت مجموعات من الحرس الوطني القرى التركية.

والمهم أن حدث انشقاق بين صفوف اليونانيين إذ جماعة منهم ترى رأي مكاريوس بالبقاء على استقلال الجزيرة، بينما ترى جماعة ثانية تساهل مكاريوس في حق الجزيرة وتصر على الالتحاق باليونان ويتزعم هذه الجماعة الجنرال (غريفاس) الذي غادر قبرص ليعمل على تنظيم جماعات للثورة ضد المطران مكاريوس.

وفي ربيع الأول ١٣٩٢ هـ فصل (سبيروس كبريناو) من وزارة الخارجية بعد أن مارست اليونان الضغط على مكاريوس.

ومات غريفاس ولكن موته لم يقلل من نزوات أنصاره، بل رأوا أن الوقت قد حان للعمل إذ أن الوضع الدَّوْليَّ لن يسمح بايجاد مشكلة جديدة بعد أحداث فلسطين، وأن اتفاق العملاقين سيجبر روسيا على السكوت إذ أن قضية قبرص ليست من الأهمية بالنسبة إلى روسيا بحيث توجد الخلاف من جديد وتفتح باباً للتوتر العالمي. وتضطر تركيا إلى السكوت إذ ليس لها من تستند عليه، إذ أن الولايات المتحدة راغبة في توجيه ضربة إلى السياسة التركية لإضعاف مركزها والتقليل من هيبتها وبخاصة بعد النجاح الجزئي الذي أحرزه حزب السلامة الوطني في تركيا والذي يحمل ميولاً وعواطف إسلامية.

وتحركت قوات الحرس الوطني وقضت على النظام القبرصي،

فكان ذلك إخلالاً بالأمن والسير بالجزيرة نحو طريق معينة، ومخالفة للدستور القبرصي وتجاهلاً للأتراك بل وربما محاولة للتخلص منهم في المستقبل. وكل هذا عداء واضح لتركيا ولكل الاتفاقات التي جرت خلال ربع قرن من الزمن.

وأعلن أصحاب السلطة الجدد أن الجالية التركية لن يصيبها أي أذى بل ستكون في مأمن ولكن هذا الاعلان يحمل في زواياه معنى سياسياً مؤقتاً يُرى من خلاله مستقبلاً غامضاً.

كان على تركيا أن تستنفر قواتها كافة وأن تتدخل في الأمر حماية لجاليتها ودفاعاً عن أبناء عقيدتها واحتراماً لمواثيقها وعهودها.

وفي الوقت نفسه كان على اليونان أن تستنفر جيشها كافة خشية من التدخل التركي وحماية للوضع الجديد الذي تؤيده في الجزيرة بل وتحتضنه، وقد قامت بهذا، واكفهر الجو، وتوتر الوضع وبخاصة بعد نجاة المطران مكاريوس ووصوله إلى انكلترا التي تريد الحفاظ على مصالحها، ولن يتم بهذا الوضع كما كان في الماضي.

وتأخر التدخل التركي الذي كان يتوقعه العالم كله لأن له ما يبرره.

دخلت القوات التركية الجزيرة، واحتلت بعض المناطق، وأسرع مجلس الأمن، وقرر وقف إطلاق النار خوفاً من نجاح تركيا وتثبيت مركز جديد للاسلام في قبرص.

تأزم الموقف بين تركيا واليونان إلا أنه لن يحدث انفجار في

الوضع لأن الدلائل تشير إلى رجحان القوة التركية، وفوزها لا يرضى عنه العالم لأنه نجاح للمسلمين في قبرص، لذلك لن تقوم حرب شاملة بين الطرفين ـــ وإن توقعتها الصحافة العالمية ـــ إذ أن أمريكا التي رأت الوضع متأزماً ـــ ولا تريده ـــ عدلت عن فكرة الدعم لليونانيين إذ تخشى من أية نجاحات تحرزها تركيا، أو السير في سياستها الاسلامية أبعد من ذلك إن بقيت تسند اليونان. ولأن روسيا ترى في النظام المكاريوسي أفضل لسياستها ومناخاً أكثر ملاءمة لعناصرها لذلك تدعو إليه وتؤيده.

وترى تركيا في الوضع السابق اعتدالاً أكثر لها، ولها من يدعمها في إعادته بل ترى اتجاهاً دولياً يسير في هذا المنحنى.

وترى انكلترا في الحفاظ على مصالحها وقواعدها إعادة للنظام السابق.

وتضطر اليونان إلى السكوت بل تجبر عليه من قبل الغرب وباسم الحفاظ على وضع حلف الأطلسي وبالواقع خوفاً من هزيمة تحيق بها أمام المسلمين.

وعلى كل فإن التدخل التركي كان واجباً إذ أعطى قوة معنوية للجالية التركية المسلمة وحال دون تفرد اليونان بشؤون قبرص.


جَزيرة قبرص
كيرينيا
نيقوسيَا
فاماغوستا
ليماصول
قواعد بريطانية

الخاتمة

وأخيراً نقول: إن تركيا التي أخذت على عاتقها التدخل في شؤون قبرص، ورفعت معنويات الأتراك في جزيرة قبرص وفي تركيا بالذات إذ شعروا أنهم قد أصبحوا موضع احترام، وأن العالم مجبر لسماع كلمتهم وأخذ رأيهم. تركيا هذه نرجو أن تنقذ وضعها المتدهور اقتصادياً، وأن ترمي بالعلمانية التي أضاعت الشعب في متاهات من الظلام والضلال، وأن تسير بخطى سريعة نحو الإسلام نظاماً، ونحو العالم الإسلامي اتجاهاً وسياسةً تُعيد ما انقطع، وتصل ما انفصل بعدما رأت الخواء الفكري ولاحظت التدهور المادي وشاهدت ظلم قطيعة الجار، ومرّ البعد عن العقيدة، وإن الأمل لكبير بأصحاب الاتجاه الإسلامي الجديد والله ولي التوفيق وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات